بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم درمان الإسلامية

كلية الدراسات العليا

كلية اللغة العربية

قسم الدراسات الأدبيّة والنقديّة

شعر قبيلة كلب حتى نهاية العصر الأموي

(دراسة أدبيّة نقديّة)

بحث مقدم للحصول على درجة الماجستير تخصص الأدب والنقد

إعداد الطالب : هارون آدم يوسف عبد البارئ

إشراف الدكتور : عبد الرحمن عطا المنان

العام الجامعي

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

مُقَدِّمَة

الحمد لله ولي كل نعمة ، والصلاة والسلام على نبيه الهادي من كل ضلالة وعلى آل بيته الطيبين الأخيار .

لا يزال شعرنا القديم مرآة نرى من خلالها شيئاً مما شعر به أسلافنا الأوائل ، الذين سارعوا جمع أشعار شعرائنا فحفظوها لنا من الاندثار ، فجمعوه ووضعوه ميسّراً أمامنا للاطلاع والدراسة . وسارع العلماء إلى جمع هذا الشتات الشعري المتناثر الذي وجدوه بين أفواه رواة القبائل ، ونسبوه إلى قائليه .

وكانت قبيلة كلب إحدى هذه القبائل التي جمع العلماء أشعارها ، لكن هذه الأشعار لم تجمع على أساس وضعها القبلي أي ديوان كل قبيلة على حده ولا نكاد نجد دواوين شعر لقبائل بعينها عدا نماذج قليلة كشعر قبيلة هذيل وشعر همدان ، وغير ذلك .

لذلك اتّجه بعض الباحثين المعاصرين إلى جمع أشعار القبائل من المصادر المتفرّقة ؛ فكان منهم الأستاذ أحمد محمّد علي عبيد أستاذ اللغة العربية بجامعة الشارقة كلية الآداب ، الذي جمع ما وجده منثوراً من شعر قبيلة كلب بين صفحات المصادر الكبيرة من كتب اللغة والأدب ، وقدّم على شكل ديوان سماه ديوان شعر قبيلة كلب حتى نهاية العصر الأموي .

موضوع البحث :

شعر قبيلة كلب حتى نهاية العصر الأموي ، دراسة أدبيّة نقديّة .

أهميّة البحث :

١/ إبراز شعر قبيلة كلب والتعرّف بقبيلة كلب نفسها ، وذلك أنّ كثير من الناس يخلط بينها وبين قبيلة كليب ، وقد سُئلت أكثر من مرّة تعني كلب أم كليب .

المنهج المتّبع :

اتبعت في هذا البحث ثلاثة مناهج :

١/ المنهج التأريخي ، ووظفته للدراسة التأريخية التي احتوت على :

أ/ نسب قبيلة كلب .

ب/ ديار قبيلة كلب .

ج/ تاريخ قبيلة كلب في العصر الجاهلي ، وصدر الإسلام ، والأموي.

٢/ المنهج الوصفي : وقد وظفته ، لدراسة الأغراض الشعرية للقبيلة .

٣/ المنهج التحليلي : ووظفته للدراسة الفنية من حيث اللغة والأسلوب والبحور الشعرية الواردة في أشعار شعراء القبيلة ، والظواهر البلاغيّة .

الدراسات السابقة :

اعتمدت في دراستي لهذا البحث على ديوان شعر قبيلة كلب ، جمع وتحقيق الأستاذ أحمد محمّد علي عبيد ، ثمّ وجدت دراسة مفصّلة لشاعر كلبي كبير ، وهو زهير بن جناب في كتاب الأغاني ، في الجزء التاسع عشر . أمّا بقيّة الشعراء ، وجدت أشعارهم منثورةً في بعض كتب الأدب ، واللغة والتأريخ وأكثر هذا الشعر في كتاب معجم الأدباء بأجزائه المختلفة ، ثمّ معجم الشعراء ومعجم البلدان والكامل في التاريخ ، والأغاني ، وحماسة أبي تمام ، وحماسة البحتري ، إلى غير ذلك من الكتب .

صعوبات البحث :

قلّة المصادر والمراجع المتناولة لشعر شعراء قبيلة كلب ، وتفرّق هؤلاء الشعراء في مصادر متنوعة .

خطّة البحث :

اتبعت في هذا البحث خطة اشتملت على تمهيد ، وبابين واشتمل كل باب على عدد من الفصول ، وختمتها بخاتمة وفهارس عامة ، وجاءت كما يلي :

تمهيد : واشتمل على :

نسب القبيلة .

وديار القبيلة .

وتاريخ القبيلة في العصر الجاهلي .

وتاريخ القبيلة في عصر صدر الإسلام .

وتاريخ القبيلة في عصر بني أميّة .

الباب الأول : الأغراض الشعرية عند شعراء قبيلة كلب : واشتمل على تسعة فصول :

الفصل الأول : المدح والحماسة .

الفصل الثاني : الفخر والرثاء .

الفصل الثالث : الغزل والهجاء .

الفصل الرابع : الحنين والحكمة

الفصل الخامس : الخصومات .

الباب الثاني : الدراسة الفنيّة عند شعراء قبيلة كلب ، واشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : اللغة والأسلوب .

الفصل الثاني : التصوير والتخييل .

الفصل الثالث : الموسيقى الشعريّة .

الخاتمة .

فهارس عامة .

تمهيد

ويشمل :

١/ نسب القبيلة .

٢/ ديار القبيلة .

٣/ تاريخ القبيلة في العصر الجاهلي .

٤/ تاريخ القبيلة في عصر صدر الإسلام .

٥/ تاريخ القبيلة في عصر بني أميّة .

نسب القبيلة

قبيلة كلب هي إحدى جماجم العرب : " والجماجم هي القبائل التي تجمع البطون ، وينسب إليها دونهم " (١) ويعود نسب قبيلة كلب إلى كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة (٢) ويشترك معها في هذه النسبة قبائل كثيرة أخرى مثل ، القين ، وجهينة ، وسليح ، ونهد ، وعذرة ، وتزيد ، وخشين ، وعلاف و مهرة ، وخولان ، وبراء ، وبلى (٣)

أما قضاعة واسمه عمرو ، فقد اختلف علماء النسب فيه . فقال بعضهم : إنّه قضاعة بن معد بن عدنان ، وهو أكبر أولاد معد (٤) . ويرى قسم آخر أنّه قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرّة بن يزيد بن مالك بن حمير ، إلاّ أنّ نسبة قضاعة إلى معد هي الأرجح إلى ذلك ذهب كثير من العلماء كأبي عمرو بن العلاء (٥) . قال هشام بن محمد الكلبي (١) : " يقال إنّ معانة بنت جشم بن جهلة

---

(1) لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٨م مادة (جمم) .

(2) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، للوزير الفقيه أبي عبيد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ، ضبط وتحقيق ، مصطفى السقّا ، ص ٥٤ .

(3) جمهرة انساب العرب ، علي بن أحمد بن حزم ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط٥ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ج ١٩ ، ص ٤٨٦ .

(4) معجم ما استعجم ، ص ١٧ .

(5) هو : أبو عمرو بن العلاء بن زبّان بن العلاء بن عمّار ، المازني ، البصري ، أحد القرّاء السبعة ولد بمكة سنة ٦٥هـ ، وتوفي بالكوفة ، سنة ١٥٤هـ . معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، ط٣ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ج٥ ، ص ٤٦٥ .

بن عمرو ، كانت عند مالك ابن عمرو بن مرّة بن مالك بن حمير ، ثمّ خلف عليها بعد معد بن عدنان ، فجاءت معها بقضاعة ابن مالك بن عمرو ، فكان يقال له قضاعة بن معد ، فولدت قال : ويقال إنّه معانة كانت بدياً عند معد فولدت له قضاعة ، ثمّ خلف عليها مالك بن عمرو فتبنّى قضاعة فنسب إليه " [٢] .

وفي أشعار العرب في الجاهلية والقضاعيين ما يؤيّد نسب قضاعة إلى معد ، قال لبيد بن ربيعة العامري [٣] :

فلا تسأليني واسألي عن بلائيا

إياداً و كلباً من معد ووائلا [٤]

---

[1] هو : أبو المنذر هشام بن محمّد بن السائب بن بشر الكلبي ، اشتهر بابن الكلبي ، اخذ العلم عن أبيه ، له مؤلفات كثيرة ، منها : كتاب "الأصنام" ، و" الجمهرة " ، و" أنساب الخيل " ، توفي سنة ٢٠٤هـ ، وقيل ٢٠٦هـ . الأصنام تأليف ابن الكلبي ، تحقيق أحمد زكي باشا ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص ١٢ .

[2] أنساب الأشراف ، أحمد بن يحيى ، تحقيق محمّد حميد الله ، دار المعارف ، القاهرة ، ج١ ، ص ١٥ .

[3] هو : أبو عقيل لبيد بن ربيعة بن مالك ، العامري ، أحد الشعراء الأشراف في الجاهليّة ، أدرك الإسلام ، ويعدّ من الصحابة ، ترك الشعر فلم يقل في الإسلام إلاّ بيتاً واحداً هو :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه

والمرء يصلحه الجليس الصالح

الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، تأليف خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ج٥ ، ص ٢٤٠ .

[4] ديوان لبيد بن ربيعة ، تحقيق د. إحسان عباس ط٢ ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٨٤م ، ص ٢٥٠ .

ويقول زهير بن أبي سلمى [١] :

قضاعيّة أو أختها مضريّة   يحرّق في حافاتها الحطب الجزل [٢] .

أي قضاعة بن معد ، ومضر بن نزار بن معد .

وقال زهير بن جناب الكلبي [٣] :

ولم أر حيّاً من معدّ تفرّقوا

تفرّق معزى الفرز غير بني نهد [٤]

وكان لكلب بن وبرة إخوة يلقبون بالأسبع وهم : أسد ، والنمر ، والذئب ، والثعلب ، والسّيد ، والسرحان ، وكانوا يقيمون بواد يقال له وادي السباع [٥] ،

---

(1) هو : زهير بن أبي سلمى بن ربيعة ، المزني ، المضري ، شاعر جاهلي ولد في بلاد مزينة ، وكان يقيم في الحاجز من ديار نجد . معجم المؤلفين ، تراجم مصنّفي الكتب العربية ، عمر رضا كحالّة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٤هـ ، ج ١ ، ص ٧٣٧ .

(2) شعر زهير بن أبي سلمى ، صنعة الأعلم الشنتمري ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، ط٣ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ص ٣٦ .

(3) هو : زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر ، الكلبي ، شاعر جاهلي ، من المعمرين ، شرب الخمر صرفاً حتى الموت . معجم المؤلفين ، ج ١ ، ص ٧٣٨ .

(4) أنساب الأشراف ، ج ١ ، ص ١٩ .

(5) سمي وادي السباع بذلك . قال " مرّ وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمى بن جذيلة بن أسد بن نزار بن معد بن عدنان ، بأسماء بنت دريم بن القين بن أهود بن بهراء ، أمّ ولد وبرة – وكان يقال لها أم الأسبع – وكانت امرأة جميلة ، وبنوها يرعون حولها ، فهمّ بها فقالت له : لعلّك أسررت في نفسك منّي شيئاً ؟ فقال : أجل ، فقالت لئن لم تنته لأستصرخنّ عليك ، فقال : والله ما أرى بالوادي أحداً ! فقالت له لو دعوت سباعه لمنعتني منك وأعانتني عليك ، فقال : أوتفهم السباع عنك ؟ قالت : نعم ، ثمّ رفعت صوتها يا كلب ، يا ذئب ، فهد ، يا دبّ ، يا سرحان ، يا أسد ، يا سيد ! فجاءوا يتعادون ويقولون : ما خبرك يا أماه ؟ فقالت ضيفكم هذا أحسنوا قراه ، ولم ترَ أن تفضح نفسها عند بنيها ، فذبحوا له وأطعموه فقال وائل : ما هذا إلاّ وادي السباع ، فسمّي بذلك . ياقوت بن عبد الله الحموي ، دار صادر ، بيروت ، ج ٥ ، ص ٣٤٤ .

وهو بين البصرة والكوفة [١] .

وكان كلب من حمقى العرب [٢] وحالف أبا غرم بن عوكلان العاملي فزوجه ابنته حبّى فولدت له ثوراً ، وكلباً ، وأبا حاجب ، وعميراً ، وعنّة [٣] .

---

[١] معجم البلدان ،ج ٥ ، ص ٣٤٤ .

[2] المحبر ، محمّد بن حبيب ، تحقيق ايليزة ليختن شتيتر ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ص ٣٨٠

[3] نسب معد واليمن ، محمّد بن هشام الكلبي ، تحقيق ناجي حسن ، ط١ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٨م ، ص ١٩٨ .

المبحث الثاني
ديار قبيلة كلب

سكن كلب بن وبرة أبو القبيلة في وادي السباع قريباً من الكوفة مع إخوته المعروفين بالأسبع ، ثمّ انتشر أبناؤه في المناطق المجاورة لهذا الموقع ، وعلى مقربة منه توجد عين ماء تسمّى الحوأب نسبة لحوأب ابنة كلب بن وبرة [١] .

ثم انتقلت بطون كلب في أنحاء متفرقة من الجزيرة العربية ، حيث كان لهم موضع قرب جدة تسمّى الجدير [٢] ورحل بعض منهم إلى البحرين ، وهم بنو شكم اللات بن رفيدة بن كلب [٣] .

وسارت بقية كلب إلى نجد فقطنت في حصن والسئ إلى ناحية الربذة إلى جبل الطمية ، وهو منزل زهير بن جناب ، والذي يقول فيها :

أبني إن أهلك فإنّي
قد بنيت لكم بنيّه
وتركتكم أرباب سادات
زنادكم وريّه
ولكل ما نال الفتى
قد نلته إلا التحيّه

وشهدت النار للسّلاف

---

(1) جمهرة اللغة ، محمّد بن الحسن بن دريد ، تحقيق د. رمزي بعلبكي ، دار العلم للملايين ، ص ٢٨٦ .

(2) معجم ما استعجم ، ص ١٧ .

(3) أنساب الأشراف ج ١ ، ص ١٩ .

توقد في طميّه [١]

كما سكنوا السماوة ، والحيرة ، وانتقلوا إلى أجأ وسلمى قريبة من طيء وتزوجوا منهم ، قال الواقدي [٢] : " تزوّج حارثة بن شراحيل الكلبي [٣] إمرأة من طيء [٤] فولدت له زيد بن الحارثة بن شراحيل " [٥] .

وكان أهم أماكنهم دومة الجندل ؛ وهي قرى بين الشام والمدينة [٦] وانتشروا في الحواضر القريبة من دومة الجندل مثل تيماء وتبوك ، وفدك واستقرّوا في بادية السماوة ، وهي مفازة بين الكوفة والشام ، وبلدة السماوة تعدّ حصناً منيعاً لكلب وملاذاً آمناً لأي هارب ، فإليها هرب بنو عبس هرباً من بني ذبيان فقاتلهم كلب

---

[1] معجم ما استعجم ، ص ٤٩ . . وطبقات فحول الشعراء ، محمّد بن سلام الجمحي ، تحقيق محمود محمّد شاكر ، ط٢ ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٧٤م ، ص ٣٧ – ٣٨ .

[2] هو : أبو عبد الله محمّد بن عمر بن واقد ، السهمي ، الأسلمي بالولاء ، المدني ، محدّث ، حافظ مؤرّخ ، أديب ، فقيه ، مفسّر ، ولد بالمدينة ، من تصانيفه (تاريخ الفقهاء ،السنّة والجماعة) و(تفسير القرآن) . معجم المؤلفين ، ج ٣ ، ص ٥٦٨ .

[3] هو : حارثة بن شراحيل بن عبد العزّى بن امرئ القيس من بني عبود ، ولد زيد بن حارثة الصحابي ، قيل إنّه أسلم عندما وفد على رسول الله بحثاً عن ولده . الإصابة في تمييز الصحابة ، الحافظ ابن حجر العسقلاني ، تحقيق محمد علي البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ج ٢ ، ص٥٩٢

[4] هي : سعدى بنت ثعلبة ، أم زيد بن حارثة ، من طي . الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، يوسف بن عبد البرّ القرطبي ، تحقيق محمد البجاوي ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٠م ص ٥٤٣ .

[5] هو : زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزّى بن امرئ القيس ، الصحابي الجليل ، وحبّ رسول الله ﷺ ، أسره بنو القين في غارة على طي ، وباعوه بمكة فاشتراه حكيم بن حزام لخديجة بنت خويلد التي وهبته للنبي ﷺ استشهد بمؤتة سنة ٨هـ ، الاستيعاب ، ص ٥٤٢ .

[6] معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ .

يوم عراعر فهزمهم [١] وإليها أيضاً هرب طليحة الأسدي المتنبئ بعد هزيمته في حروب الردّة [٢] .

كانت بلدة السماوة خالصة لكلب ، وأكثر سكانها على عيون الماء ، ومن هذه العيون ، الأجدار والأعزل التي قال فيها جرير [٣] :

لمن الديار كأنّها لم تحلل

بين الكناس وبين طلح الأعزل [٤]

من عيونها أيضاً الغوير والأكادر [٥] وبنات فين [٦] وهي عيون عديدة تجمع بطوناً كثيرة ، وخالة وهو ماء لبني زهير بن جناب ، وقد ذكره النابغة الذبياني [٧] :

---

[1] الكامل في التاريخ ، عز الدين بن الأثير ، دار صادر ، ودار بيروت ، ١٩٦٠م ، ج ١ ، ص ٥٨١ .

[2] تاريخ الطبري ، محمّد بن جرير الطبري ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، ط٥ ، دار المعارف ، القاهرة ، ج ٣ ، ص ٢٦١ .

[3] هو : أبو حرزة جرير بن عطيّة الخطفي التميمي ، الشاعر المشهور ، كان من فحول شعراء الإسلام ، وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض ، توفي سنة ١١١هـ . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ابن خلكان ، تحقيق د. يوسف علي طويل ، و د. مريم قاسم طويل ، منشورات محمّد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج ١ ، ص ٣٠١ .

[4] معجم البلدان ، ج ١ ، ص٢٢١ .

[5] معجم ما استعجم ، ص ١٨٤ .

[6] وسميت بذلك ، لأنّ القين بن جسر بن شيع الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة ، كان ينزل بها ويقول : " وهذه العيون بناتي" . معجم البلدان ، ج ١ ، ص٤٩٥ .

[7] هو : زيات بن عمرو بن معاوية بن جابر بن ضباب ، كان حليماً عفيفاً . ديوان النابغة ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ص ١٣ .

بخالة أو ماء الدنانة أو سوى

مظنّة كلب في مياه المناظر [١]

ومنها أيضاً قراقر [٢] التي قال فيها النابغة الذبياني :

يظلّ الإماء يبتدرن قديحها

كما ابتدرت كلب مياه قراقر [٣]

وتتخلل هذه الأودية رياض تنعم قبيلة كلب بربيعها وطيب هوائها ، ومن هذه الرياض : ذات النجيلة [٤] وذوات النجود [٥] وذوات بيض [٦] .

ومن جبالهم : واح [٧] والإلاهه [٨] ، وأمّ أذن [٩] .

وكانت لهم أماكن للصيد منها : الأحوران [١٠] ، والحوّة [١١] وعثانين [١٢]

---

(1) ديوان النابغة ، ص ١٧٥ .

(2) معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣١٨ .

(3) ديوان النابغة ، ص ١٧٥ .

(4) معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٩٦ .

(5) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٩٦ .

(6) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٨٩ .

(7) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٣٤٢ .

(8) معجم ما استعجم ، ص ٢١٠ .

(9) معجم البلدان ، ج ١ ، ص٢٤٩ .

(10) معجم ما استعجم ، ص ٢١٠ .

(11) معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٤٣٥ .

(12) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٨٩ .

جابت قبيلة كلب بادية الشام وحضرها بحثاً عن طيب العيش ، حيث يقول شاعرهم عدي بن غطيف [١] :

يا من رأى ظعناً تيمّم صرخدا
يحدو بها حوران فهي ظماء
أنبئن بالجولان روضاً ممرّعاً
فكأنّ حارثة لهنّ لواء
لمّا حللن حليمة من جاسم
طرح العصي وأدرك الأهواء
فحللن خير محلّ حي سوقة
وأنا لهنّ من الملوك حباء [٢]

دللت هذه الأبيات على أنّ سكنى كلب كانت مناطق غنّاءة ورياض فيحاء بكل من الحارث والجولان وحليمة وجاسم وصرخد ، وهي حول دمشق .

ولمّا جاء الإسلام استقرّ الكلبيون في منازلهم التي سكنوها في الجاهليّة وانتقل بعضهم إلى حواضر الخلافة الإسلامية ، فكان لهم زقاق في دمشق يعرف بزقاق الكلبيين [٣] .

---

[1] هو : عدي بن غطيف بن تويل بن عدي بن جناب . معجم الشعراء ، محمّد بن عمران المرزباني ، تحقيق عبد الستار فراج ، مكتبة النوري ، دمشق ، ص ٨٥ .

[2] الوحشيات ، حبيب بن أوس الطائي ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، ط٢ ، دار المعارف ، ١٩٧٠م ، القاهرة ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

[3] تاريخ الطبري ، ج ٧ ، ص ٢٤١ .

وأقطع معاوية بن أبي سفيان أسامة بن زيد بن الحارثة الكلبي المزّة ، وهي إحدى قرى دمشق ، فقطنها هو ومن رافقه من الكلبيين ، وقال فيها حكيم بن عياش الكلبي [١] :

إذا ذكرت أرض لقوم بنعمة
فبلدة قومي تزدهي وتطيب
بها الدّين والأفضال والخير الندي
فمن ينتجعها للرشاد يصيب
ومن ينتجع أرضاً سواها فإنّه
سيندم يوماً بعدها ويخيب
تأتّى بها خالي أسامة منزلاً
وكان لخير العالمين حبيب
حبيب رسول الله وابن رديفه
له ألفة معروفة ونصيب
فأسكنها كلباً فأضحت بليدة
بها منزل رحب الجناب خصيب
فنصف على برّ فسيح رحابه
ونصف على بحر أغرّ تطيب [٢]

---

[1] هو : حكيم بن عياش الكلبي ، شاعر مجيد منقطعاً إلى بني أميّة بدمشق ، سكن المزة وانتقل إلى الكوفة ، وأسامة بن زيد بن حارثة خاله ، أكثر الشعراء هجاء لآل البيت . معجم الأدباء ، ج ١٠ ، ص ٢٤٧ .

[2] قال الراوي ، قدم أسامة بن زيد وهو خال حكيم بن عياش الأعور ، على معاوية فقال له : اختر لك منزلاً فاختار المزّة واقتطع فيها هو وعشرته فقال حكيم الأبيات السابقة . معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٢٢ .

وقال فيها ابن قيس الرقيّات [١] :

حبذا ليلتي بمزّة كلب

غال عنّي بها الكوانين غول

بت أسقي بها وعندي مصاد

إنّه لي وللكرام خليل

مقدّياً أحلّه الله للنا

س شراباً ما تحلّ الشمول

عندنا المشرفات من بقر الإنـ

س هواهن لابن قيس دليل [٢]

وبها قبر دحية الكلبي مبعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيصر الروم [٣] .

كما سكن بعض الكلبيين الأردن وفلسطين [٤] ومصر والأندلس [٥] وبعد الحروب التي جرت بين قيس وكلب أيام عبد الملك بن مروان رحل كثير من الكلبيين من السماوة فنزلوا غور الشام [١] الذي قال فيه جميل بن معمر [٢] :

---

(1) هو : عبيد الله بن قيس ، أحد بني عامر بن لؤي ، سمّي الرقيات ، لأنّه كان يشبب بثلاث نسوة يقال لهنّ جميعاً رقيّة . الشعر والشعراء ، عبد الله بن مسلم الدينوري ، تحقيق احمد محمّد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ج١ ، ص ٥٣٩ .

(2) معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٢٢ .

(3) المرجع السابق ، والصفحة نفسها .

(4) تاريخ الطبري ، ج ٥ ، ص ٥٣١ .

(5) جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٠٧ .

يغور إذا غارت فؤادي وإن تكن

بنجد يهب مني الفؤاد إلى نجد

هـذا الغـور بـين دمشـق وبيـت المقـدس [٣] ونزلـوا جنـوب عكـا وسـواحل وفلسطين [٤] .

---

[1] الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني ، ط ، دار الكتب المصرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ج ٢٤ ص ٣٥ .

[2] هو : أبو عمرو جميل بن عبد الله بن معمر بن صباح بن ظبيان ، الشاعر المشهور ، صاحب بثينة ، أحد عشّاق العرب ، وهو من بني عذرة . وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص٣٤٠ .

[3] معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢١٧ .

[4] الأغاني ، ج ٢٤ ، ص ٣١ .

تاريخ قبيلة كلب في العصر الجاهلي

الحياة السياسية

كانت قبيلة كلب أكبر قبائل قضاعة عدداً وأكثرها شرفاً ومكانة وقد عبّر زهير بن جناب عن تلك بقوله :

فما إبلى بمقتدر عليها
ولا حلمي الأصيل بمستعار
ستمنعها الفوارس من بلى
وتمنعها الفوارس من صحار
ويمنعها بنو قين بن جسر
إذا أوقدت للحدثان ناري
ويمنعها بنو نهد وجرم
إذا طال التجاول في المغار
بكل مناجذ جلد قواه
وأهيب عاكفون على الدوار [١]

وكان لقضاعة ملك بين الشام والحجاز إلى العراق ، وانتهت إمارتهم بظهور الغساسنة [٢] وكان من أمرائهم داوود بن هبالة السليحي الذي تنصّر ،

---

[1] معجم ما استعجم ، ص ٣٠ .

[2] تاريخ العرب قبل الإسلام ، تأليف الدكتور السيد عبد العزيز سالم ، ط ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ، ج ١ ، ص١٩٦ .

وترك الحرب فقتله ثعلبة بن عامر الكلبي [١] ، وأنشد يقول :

نحن الألى أردت ظبات سيوفنا

داوود بين البرقتين فحارب

خطرت عليه رماحنا فتركنه

لمّا شرعن له كأمس الذاهب

وكذاك إنّا لا تزال رماحنا

تنفي العدا وتفيد رغب الراغب [٢]

تزعمت قبيلة كلب قبائل قضاعة ، وقد تولّى بعض الكلبيين زعامة قضاعة مثل زهير بن جناب [٣] .

كان عزّ قضاعة في بني نهد ، ثمّ تحوّل إلى كلب بعد أن قويت شوكتها فصارت من أمنع قبائل قضاعة في أيام عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات الذي دفع إليه عمرو بن لحي الخزاعي الصنم ودا [٤] وكان عوف هذا أول من جمع كلباً ، وضربت عليه القبّة ، قبة الرئاسة ، ثمّ من بعد لابنه عبد ود بن

---

(1) هو : ثعلبة بن عامر بن عوف بن بكر بن عذرة ، الكلبي . ديوان شعر قبيلة كلب حتى نهاية العصر الأموي ، جمع وتحقيق ودراسة أحمد محمد علي عبيد ، جامعة الشارقة ، كليّة الآداب ، قسم اللغة العربية ، المجمع الثقافي ، ١٩٩٩م ، ص ١٣٢ .

(2) المرجع السابق والصفحة نفسها .

(3) المعمرون والوصايا ، أبو حاتم السجستاني ، تحقيق عبد المنعم عامر ، دار إحياء الكتب العربيّة القاهرة ، ١٩٦١م ، ص ٣٥ .

(4) كان وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحارث بن عوف بن قضاعة مرض مرضة فرفع يديه إلى السماء فقال : اللهم أدلني نهد ، وأدل بنيّ من بني نهد ، فقال : وعزّ قضاعة يومئذ وشرفها في بني نهد ، وكان حنظلة بن نهد صاحب فتاحة تهامة ، وصاحب العرب بعكاظ حين تجتمع في أسواقها ، فتحوّل ذلك إلى كلب بن وبرة ، فكان أول كلبي جمع كلباً ، وضربت عليه القبّة عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب ، ودفع إليه ود . معجم ما استعجم ص ٥١ .

عوف ثمّ من بعده الشجب بن عبد ود إلى أن وصل إلى زهير بن جناب فلم يزل فيه حتى هلك .

العلاقات الخارجية :

كانت قبيلة كلب على اتصال بالممالك الحاكمة وقتذاك ، حيث أرسلت مبعوثيها لهم ووفدت عليهم ، وكان زهير بن جناب وفاداً على الملوك [١] وفي ذلك يقول :

ونادمت الملوك من آل عمرو

وبعدهم بني ماء السماء [٢]

عنى زهير بآل عمرو بن آكل المرار وملوك كندة . وببني ماء السماء المناذرة وكانت ديار كلب قريبة من الغساسنة حيث سكنت كلب بادية الشام ، وسكنت الغساسنة حواضرها ، وكان للحارث بن مارية الغساني ابن مسترضع في بني عبد ود الكلبيين [٣] وكان زهير بن جناب ممّن يفدون على ملوك غسان [٤] .

كذلك اتصلت قبيلة كلب بالمناذرة ، يقول زهير بن جناب :

حتّى أوفّيها إلى الـ

ملك الهمام بذي الثويّة [٥]

---

[1] معجم الأمثال ، أحمد بن محمّد الميداني ، تحقيق محمّد محيي الدين عبد العميد ، دار المعرفة بيروت ، ج ٢ ، ص ١٢٤ .

[٢] المعمرون ، ص ٣٤ .

[3] تاريخ الطبري ، ج ٢ ، ص٦٦ .

[4] الأغاني ، ج ١٩ ، ص ٢٠ .

[٥] المعمرون ، ص ٣٢ .

ذو الثويّة من أعمال الحيرة ، وقد قيل إنّ زهيراً وفد على النعمان بن المنذر [١] وكان مزاحم الكلبي نديماً لعمرو بن هند [٢] وقراد بن أجدع كان نديماً للنعمان بن المنذر [٣] وكان جليساً له مع رجل من يشكر سب النعمان ، فقال ابن قراد بن أجدع :

نطق اليشكري منّا فأبدى
فرقاً من مصمم هندواني
ثمّ ثنّى بمثله إذ رأى المو
ت عياناً في لحظة النعمان
فتلافته رحمة من مليك
ذي بهاء واري الزناد هجان
فله الويل كيف ساغ له القو
ل مجداً أو مازحاً باللسان [٤]

كما صاهر المناذرة كلباً فتزوّج المنذر ماوية المتجرّدة الكلبيّة فمات عنها فخلف عليها ابنه المنذر بن المنذر [٥] ؛ وهو نكاح المقت الذي حرّمه الإسلام ، وكانت قبيلة كلب على صلة أيضاً ببني آكل المرار ملوك كندة ، فزهير بن جناب يقول :

---

(1) مجمع الأمثال ، ج ٢ ، ص٩٤ .

(2) المرجع السابق ، ج ١ ، ص٢٠٢ ، ٢٠٨ .

(3) معجم الشعراء ، ص ٢٠٦ .

(4) المرجع السابق والصفحة نفسها .

(5) هي : مارية بنت المنذر بن الأسود بن المنذر بن حارثة الكلبي . المحبر ، ص ٤٣٧ .

ونادمت الملوك من آل عمرو

وبعدهم بني ماء السماء

وآل عمرو هم بنو عمرو آكل المرار الكندي .

الحياة الاجتماعية والاقتصادية

انقسمت الحياة الاجتماعية في قبيلة كلب إلى بطون متحضّرة في مدن تيماء وفدك ودومة الجندل ودمشق ، وبطون متبديّة عاشت حياة الترحال تنتجع البلاد وتتبع مواسم القطر [١] .

اتخذت القبيلة الغزو مصدراً من مصادر الرزق ، فعندما هزمت كلب تغلب في يوم الحبىّ [٢] استاقت أموالها [٣] وكذا الحال عندما أغارت على بني جشم من هوازن يوم شبكة [٤] الذي قال فيه كثيّر [٥] :

ويوم شباك الدّوم دانت لديننا
قضاعة لو ينجى الذليل التحوّب
أقيم لهم بالقاع قاع بلا كث
إلى ذنب الجزلاء يوم عصبصب [٦]

---

[1] معجم ما استعجم ، ص ٤٥ .

[2] الأغاني ، ج ١٩ ، ص ١٨ .

[3] المرجع السابق والصفحة نفسها .

[4] معجم ما استعجم ، ص ٢٧٢ .

[5] هو : كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر بن مخلد ، أبو صخر ، كان شاعر الحجاز في الإسلام ، لا يقدمون عليه أحداً كان أبرش ، قصير ، وكان شاعر بني مروان ، توفي سنة ١٠٥هـ . معجم الشعراء ، ص ٢٤٢ .

[6] المرجع السابق ، والصفحة نفسها .

ومن مصادر معيشتهم الصيد ، فالأكيدر الكندي ملك دومة الجندل كان يزور أخواله الكلبيين ، ويخرج معهم للصيد [١] وزهير بن جناب كان يصيد بقر الوحش ، والحمر في موضعين هما القنان والقفة [٢] .

كما عرفوا برعي الشاه ، وكان عدي بن جبلة يذبح كل يوم خمسين شاة يطعمها من يرد عليه [٣] وكانت تربية الإبل من مصادر الرعي الأساسية عندهم يفخر زهير بن جناب بكثرة إبله التي ترعى أي مكان تشاء دون أن يصدها أحد :

فما إبلي بمقتدر عليها
ولا حلمي الأصيل بمستعار
ستمنعها الفوارس من بليّ
وتمنعها الفوارس من صحار
وتمنعها بنو القين بن جسر
إذا أوقدت للحدثان ناري
ويمنعها بنو نهد وجرم
إذا طال التجاول في المغار [٤]

[1] معجم البلدان ، ج ٢ ، ص٤٨٨ .

[2] المعمرون ، ص ٣٣ .

[3] المؤتلف والمختلف ، الحسن بن بشر الآمدي ، تحقيق عبد الستار فرّاج ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦١م ، ص ٢٥٨ .

[4] معجم ما استعجم ، ص ٣٠ .

كما عرفت البطون المتحضّرة أعمالاً أخرى كالتجارة والزراعة فسكان دومة الجندل كانوا أصحاب نخل وزروع عرفوا البيدر وهو المكان الذي يدرس فيه الشعير بعد قطع سنابله في مكان الحصاد [١] .

وكان سوق دومة الجندل إحدى أشهر أسواق العرب في الجاهلية ، وكان يقوم في شهر ربيع الأول من كل عام [٢] إلى النصف منه .

كما مارست قبيلة كلب التجارة في غير سوق دومة الجندل ، فالأسود بن شعر الكلبي كان يتاجر بأموال إحدى ثريّات قبيلة كلب في أسواق الشام وجزيرة العرب ، ولا يسمع بمكان يمكن أن يكون فيه ربح إلاّ أتاه [٣] .

تاجر بعض الكلبيين مع الروم وأهل وادي القرى ، فسلمان الفارسي ﵁ عند رحيله في طلب دين الحنيفية مكث في عمّورية ببلاد الروم زمناً ، ثمّ رحل ومرّ به نفر من كلب تجار فطلب منهم أن يحملوه إلى أرض العرب ، وأعطاهم بقراته وغنيماته ثمناً لذلك ، حتى إذا بلغوا وادي القرى ظلموه وباعوه إلى رجل يهودي [٤] .

وكذا الحال لصهيب بن سنان الرومي ﵁ حين أغارت الروم على منازل أهله بقرية من شط الفرات ، فسبت صهيباً وهو غلام صغير ، فنشأ بالروم ، فصار ألكن ، فابتاعه منهم كلب [١].

---

(1) معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٩٣ .

(2) كتاب الجيم ، ج ١ ، ص٣٠٧ . تاريخ اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ، الكاتب العباسي المعروف ، باليعقوبي ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ، ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م ، ج ١ ، ص٢٧٠ .

(3) تاريخ اليعقوبي ، ج ١ ، ص٢٤٣ .

(4) السيرة النبوية ، عبد الملك بن هشام ، تحقيق مصطفى السقا وآخران ، دار القلم ، بيروت ، ج ١ ، ص٢٣٢ .

(1) الاستيعاب ، ص ٧٢٧ .

الحياة الدينيّة

تعدّ الحياة الدينية في قبيلة كلب إحدى ملامح الحياة الجاهليّة فيها ، فالبطون التي سكنت شمال جزيرة العرب وجاورت أماكن عبادة الأصنام اتخذت الوثنيّة ديناً لها ، واتخذت الأصنام آلهة تدين لها بالعبادة والتقديس ، والبطون التي اتصلت بالروم والغساسنة في بلاد الشام اعتنقت النصرانيّة ، وقد عرفوا الله [١] وجاء ذكره في أسماءهم من عبد الله ، تيم الله ، ووهب الله ، كما آمنوا بالدهر والقدر وحكمه فيهم [٢] وترفعوا عن أكل الميتة ، وكانوا يوفون بالعقود . قال حارثة بن أوس الكلبي [٣] :

لا آكل الميتة ما عمرت

نفسي وإن أبرح إملاقي

والعقد لا أنقض منه القوى

حتى يواري القبر أطباقي[٤]

آمنوا بالبعث إلاّ أنّه إيمان اقترن بالأسطورة التي تقول إنّ الميّت يحشر يوم القيامة على البلية،وهي ناقة توقف على القبر معكوسة رأسها إلي يديها،ملفوفة الرأس،فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت.قال عمرو بن زيد الكلبي[٥]،يوصي ابنه:

ابني ! زودني إذا فارقتني

---

[1] حماسة البحتري ، ص ٢٣ .

[2] الحيوان ، ج ٧ ، ص ٢٥٦ .

[3] هو : حارثة بن أوس بن طريف بن المتنمي الكلبي ، سيد قومه . الديوان ، ص ١٤٢ .

[4] المحبر ، ص ٣٢٩ .

[5] هو : عمرو بن زيد بن المتمني من رؤساء كلب في زمانه . معجم الشعراء ، ص ٦٤ .

في القبر راحلة برحل قاتر

للبعث أركبها إذا قيل اظعنوا

مسوسقين معاً لحشر الحاشر

من لا يوافيه على عيرانة

والخلق بين مدفع أو عاثر [١]

ومارسوا الشعائر التي مارسها عرب الجاهلية ، فكانوا يحجون [٢] وينزلون في مكان واحد حول الحرم تجتمع فيه القبيلة [٣] ، وكانت إذا دخلت الحرم لبّت بتلبية قضاعة : (لبيك عن قضاعة لربّها دفّاعة ، سمعاً له وطاعة) [٤] .

وكانوا ينقسمون في نسكهم إلى قسمين :

القسم الأول الحلّة وهؤلاء يطوفون بالبيت عراة ، ويقصدون من ذلك طرح ثيابهم وطرح ذنوبهم معها ، ويقولون " لا نطوف في الثياب التي قارفنا فيها الذنوب ، ويسمون ذلك الثوب اللقي " [٥] .

والقسم الثاني الحمس وهؤلاء المتشددون في دينهم ، يطوفون بثيابهم ، ثمّ يحتفظون بها فلا يلقونها ، وإذا أحرموا لا يأكلون الأقط والسمن والزبدة ، ولا

---

(1) المحبر ، ص ٣٢٤ .

(2) الإصابة ، ج ٢ ، ص٥٩٩ .

(3) تاريخ الطبري ، ج ٢ ، ص٣٤٩ .

(4) تاريخ اليعقوبي ، ج ١ ، ص٢٥٦ .

(5) وقد ذكر علماء التفسير في تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليه آباءنا ، والله أمرنا بها ، قل إنّ الله لا يأمر بالفحشاء ﴾ إن هذه الآيات نزلت في حق المتعرّين الذين كانوا يطوفون بالبيت عراة ، فإذا قيل لهم : لم تفعلون ذلك ؟ قالوا : وجدنا عليها آباءنا ، والله أمرنا ، فنحن نفعل كما كانوا يفعلون ، ونقتدي بهديهم ، ونستن بسنتهم ، والله أمرنا به ، فنحن نتبع أمره فيه " . المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، د. جواد علي ، ط٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٩٣م ، ج ٦ ، ص ٣٥٧ . تفسير الطبري ، ج ٨ ، ص ١١٤ . تفسير القرطبي الجامع ، ج ٧ ، ص ١٨٧ .

يمخضـون اللبن ، ولا يلبسـون الـوبر ، ولا الشـعر ، ولا يسـتظلّون بـه ، ولا يـأكلون شيئاً من نبات الحرم " [١] . [٢] .

الوثنية :

كانت قبيلـة كلب وثنيـة تعبد الأصنام عدا بطـون قليلـة تتصـرت لمجاورتها بلاد الشام ، والصنم ود أشهر أصنامهم ، وقد جلبته من مكّة ، عندما عاد عمرو بن لحي الخزاعي – زعيم مكّة – من الشام ومعه أصنام عدّة ، وزّعها على سادة القبائل ، فأعطى عوفاً بن عذرة بن زيد الـلات الكلبي ، الصنم ود ، فحملـه إلـى وادي القرى فأقرّه بدومة الجندل وسمّي ابنه عبد ود [٣] وهو أوّل من سمّي بـه وهو أوّل من سمّى عبد ود ، ثمّ سمت العرب به بعده [٤] وربما عبدت قبيلة كلب بعض الأصنام الأخرى كباجر الذي كان صنماً للأزد في الجاهليّة ومن جاورهم من طـيّ وقضاعة [٥] ، وكان لهذه الأصنام سدنة كعامر الأجدار بن عوف الذي كان أوّل سادن لود ، وتوارث بنوه سدانته حتى جاء الإسلام ، وكان آخر سدنته منهم ، أبو مالك بن حارثة الصحابي [٦] .

قال أبـو المنـذر : قال الكلبـي : حدثني مالـك بـن حارثـة الأجداري أنّـه رآه يعنـي وداً ، قـال : وكـان أبـي يبعثنـي بـاللبن إليـه فيقول : اسـقه إلاهـك . قـال : فأشربه . قال : ثمّ رأيت خالد بن الوليد بعد كسره فجعله جذاذاً [١] .

---

[1] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ، ج ٦ ، ص ٣٦١ .

[2] تفسير الطبري ، ج ٨ ، ص ١١٤ . ، تفسير القرطبي الجامع ، ج ٧ ، ص ١٨٧ .

[٣] الأصنام ، ص ٥٥ .

[4] المرجع السابق ، والصفحة نفسها .

[5] الأصنام ، ص ٦٣ .

[6] الإصابة ، ج ٤ ، ص ٥٠١ .

[1] الأصنام ، ٥٥

وعبدته مع كلب قبائل قضاعة [٢] وجعل عوف ابنه عامر الأجدار سادناً له فلم يزل بنوه يسدنونه حتى جاء الله بالإسلام [٣] .

من أصنامهم أيضاً عثر [٤] أو عمرة ، هذان الصنمان هما اللذان وردت نصوص عن عبادتهما عند قبيلة كلب ، إلاّ أنّه يمكن القول إنّ هناك أصناماً أخرى عبدت ؛ وذلك لورود بعض أسماء الكلبيين مضافة إلى بعض الأصنام المعروفة مثل تيم اللات ، وعبد العزّى ، وعبد مناة ، وعبد شمس ، وشمس صنم كان لقوم من عذرة [٥] .

النصرانيّة :

ذكرنا أنّ قبيلة كلب اتصلت بالغساسنة والروم ، وتاجرت معهم فظهر الأثر الحضاري النصراني في أشعار بعضهم ، مثل ذكر الخنزير ، وسلقه بالماء قبل أكله [٦] الذي ورد في أبيات لمسروح بن أدهم [٧] :

ولقد لقيت فوارساً في قومنا
غنظوك غنظ جرادة العيّار
ولقد رأيت مكانهم فكرهتهم
ككراهة الخنزير للإيغار [١]

---

[2] تاريخ اليعقوبي ن ج ١ ، ص٢٥٥ .

[3] الأصنام ، ص ٥٥ .

[4] أسد الغابة ، في معرفة الصحابة ، عز الدين بن الأثير ، تحقيق محمّد البنا ورفيقيه ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٠م ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .

[5] تاريخ اليعقوبي ، ج ١ ، ص٢٥٥ .

[6] مجمع الأمثال ، ج ٢ ، ص٦٢ .

[7] هو مسروح بن أدهم من بني عامر بن بكر بن عامر الأكبر ، الأصنام ، ص ٣٠ .

كان نصارى كلب ومثلهم باقي نصارى الشام من أتباع مذهب اليعاقبة الذين يقولون بالطبيعة الواحدة ، أي انّ للمسيح عليه السلام طبيعة واحدة وأقنوماً واحداً [٢] .

كان الأصبغ بن عمرو [٣] ملك دومة الجندل نصرانيّاً [٤] ومثل ابن أخيه الفرافضة بن الأحوص الذي تزوّج عثمان بن عفّان ﷺ ابنته نائلة ، وكانت نصرانيّة ثمّ أسلمت قبيل زواجها [٥] .

كما كان كل من سكن الحيرة نصرانيّاً [٦] وكانت قبيلة كلب ممّن سكن الحيرة منذ أيام التبابعة [٧] .

انتشرت النصرانيّة انتشاراً كبيراً في بطون كلب ، ويمكن القول إنّ من كان قريباً من مجتمع دين النصرانيّة كانت فرصة دخوله النصرانيّة أكبر من البعيد عنها .

---

[1] مجمع الأمثال ، ج ٢ ، ص٦١ ، ٦٢ .

[2] المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ٤ ، ص ٢٤٦ ، وج ٦ ، ص ٦٣١ . وقد انتشرت النصرانية بين كلب كما انتشرت بين أكبر القبائل النازلة بديار الشام " واليعاقبة يدعون بالمنوفسيتيين ، ونسبوا إلى يعقوب البرادعي .

[3] هو : الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب ، ملك دومة الجندل ، تزوّج عبد الرحمن بن عوف ابنته . المغازي ، محمد بن عمر الواقدي ، تحقيق د. مارسدن جونز ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ص ٥٦٧ .

[4] أنساب الأشراف ، ج ١ ، ص٣٧٨ .

[5] أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ، عمر كحالة ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت ، ج ٥ ، ص ١٤٧ .

[6] جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٩١ .

[7] تاريخ الطبري ، ج ١ ، ص٥٧٦ ، ٦١٢ .

تاريخ القبيلة في عصر صدر الإسلام

كانت الحياة الدينيّة للقبيلة في الجاهليّة منقسمة بين الوثنيّة والنصرانيّة ، وهناك قسم ثالث يبحث عن الحقيقة التي طال انتظارها ، وقرب ظهور نبيّ آن أوان بعثته ، فالأسود بن شعر الكلبي الذي كان ينتقل بين بلاد الشام والجزيرة العربيّة للتجارة سمع من أحبار اليهود بهذا النبي المنتظر ، قال الأسود : " وقد كان نمى إليّ من حبر من أحبار اليهود : إنّ النبي الأميّ هذا أوان توكّفه " [١].

وكانت قبيلة كلب تتردد على مكّة للحجّ [٢]والتجارة شأنها شأن القبائل العربيّة الأخرى ، وقد استقرّ بعض الكلبيين الذين حالفوا قريشاً استقرّوا بمكّة كمعبد بن وهب وسعد بن خولى [٣] .

لمّا جاء الإسلام أخذ الرسول ﷺ يعرض نفسه على العرب الذين يفدون إلى مكّة ، وكانت قبيلة كلب ضمن القبائل التي عرض عليها نفسه ، فأتى منازلهم حول الحرم إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، حتّى يقول لهم : " يا بني عبد الله ، إنّ الله أحسن اسم أبيكم فلم يقبلوا منه " [٤]. ويعدّ زيد بن حارثة أوّل كلبي يدخل الإسلام ، وكان قد جيء به إلى مكّة صغيراً بعد غارة بنو القين على طيء أخوال زيد ، فاشتراه حكيم بن حزام لخديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم وأهدته رسول الله ﷺ ، ثمّ علم أبوه حارثة بن شراحيل بوجوده في مكّة ، فقدم عليه وطلب أن يقبل النبي فداءه ، فخيره النبي بينه وبين أبيه فاختار

---

[1] تاريخ اليعقوبي ، ج ١ ، ص٢٤٣ .

[2] الإصابة ، ج ٢ ، ص٥٩٩ .

[3] هو : سعد بن خولى بن سيرة بن دريم بن قيس بن مالك بن عميرة بن عامر . الإصابة ، ج ٢ ، ص ٥٤

[4] تاريخ الطبري ، ج ٢ ، ص٢٤٩ .

النبي فتبنّاه النبي ، وأعلن ذلك أمام أهل مكّة ، فطابت نفس أبيه وانصرف . قال عبد الله بن عمر : " ما كنّا ندعو زيد بن حارثة إلاّ زيد بن محمد ، حتّى نزلت الآية ﴿ **ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ** ﴾ (١) . وزوجه النبي مولاته أم أيمن ، فولدت له أسامة بن زيد (٢) وبعدها ابنة عمته زينب بنت جحش (٣) .

من المتقدمين في الإسلام من قبيلة كلب سعد بن خولى ، وهو مولى لحاطب بن أبي بلتعة ، شهد بدراً ، واستشهد في أحد (٤) .

ومن المتقدمين أيضاً دحية بن خليفة الكلبي (٥) شهد بدراً ، وما بعدها ، كان جميلاً ينزل جبرائيل – عليه السلام – على النبي ﷺ على صورته ، روى الطبراني من حديث غفير بن معدان ، عن قتادة عن أنس أنّ النبي ﷺ قال : " كان جبرائيل يأتيني على صورة دحية الكلبي " (٦) .

بلغ النبي ﷺ أنّ جمعاً تجمّعوا بدومة الجندل معقل قبيلة كلب يناوئون الإسلام ، فغزاها النبي ، ولكنّه لم يجد كيداً فرجع ، كان ذلك في السنة الخامسة للهجرة ، وكان قد خلّف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري (٧) .

كان انتشار الإسلام وسط قبيلة كلب بلغ قمّته في السنة السادسة للهجرة عندما أراد النبي ﷺ دعوتها إلى الإسلام ، فأرسل لها سريّة إلى دومة الجندل بقيادة عبد الرحمن بن عوف ؓ فدعاهم إلى الإسلام ثلاثة أيام ، وهم يأبون إلاّ

---

(1) سورة الأحزاب ، الآية ٥ .

(2) الاستيعاب ، ص ٥٤٦ .

(3) الإصابة ، ج ٢ ، ص ٢٥ .

(4) الإصابة ، ج ٢ ، ص ٥٤ .

(5) هو : دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف الكلبي ، الإصابة ، ج ٢ ، ص٣٨٥ .

(6) الإصابة ، ج ٢ ، ص٣٨٥ .

(7) تاريخ الطبري ، ج ٢ ، ص٥٦٤ .

محاربته ، فلمّا كان اليوم الثالث ، أسلم زعيمهم الأصبغ بن عمرو وكان نصرانيّاً فكتب عبد الرحمن بذلك للنبي ﷺ ، وأنّه يريد الزواج منهم ، فأوصاه النبي أن يتزوّج بنت الأصبغ فتزوّجها ، وقد أسلم وقتها ابنان للأصبغ هما امرؤ القيس [١]، وزبّان [٢] .

كان إسلام الأصبغ مقدّمة لفتح آخر لدومة الجندل محقت فيه عبادة الأصنام ، وبعد عودة المسلمين من غزوة تبوك ، بعث النبي ﷺ . خالد بن الوليد لهدم الصنم ودا ، فحالت دون هدمه بنو عبد ود ، وبنو عامر الأجدار ، فقاتلهم خالد وهزمهم وكسر الصنم ودا ، وكان من قتلى كلب حينها ، قطن بن شريح فأقبلت أمّه فرأته مقتولاً فأشارت تقول :

ألا تلك المودّة لا تدوم
ولا يبقى على الدهر النعيم
ولا يبقى على الحدثان غفر
له أمّ بشاهقة رؤوم [٣]

وكان فتح دومة الجندل وكسر الصنم ود إيذاناً بانتهاء الوثنيّة في القبيلة ودخولها الإسلام ، فوفد على النبي ﷺ فرادى وجماعات في السنتين التاسعة والعاشرة للهجرة ، وممّن أسلم وقتها ، عبد الرحمن بن جبلة ، وعصام بن عامر وكانا يسدنان الصنم عثر ، فسمعا أصواتاً في جوف الصنم تخاطبهما [١] .

---

[١] هو : امرئ القيس بن الأصبغ الكلبي ، كان زعيم قومه ، بعثه النبي ﷺ عاملاً على كلب في حين أرسله إلى قضاعة ، وكان عمّال النبي ﷺ على قضاعة حين وفاته . الإصابة ، ج ١ ، ص١٠٠ .

[2] هو زبّان بن الأصبغ بن عمرو الكلبي . الإصابة ، ج ٢ ، ص٦٣٠ .

[3] الأصنام ، ص ٥٥ .

[1] قال عبد عمرو بن جبلة بن وائل بن اللجلاج الكلبي : شخصت أنا وعصام رجل في بني رواس من بني عامر حتى أتينا النبي ﷺ فعرض علينا الإسلام فأسلمنا ، فقال : أنا النبي الأمي ، الصادق

كما كتب الرسول ﷺ كتابين لبعض قبيلة كلب ، كتاب مع حارثة بن قطن [٢] وكان قد وفد مع أخيه حصن بن حارثة ، وحمل بن سعدانة فأسلموا .

أمّا الكتاب الثاني لكلب فقد كتبه ﷺ لقطن بن حارثة [٣] وكان قد وفد على النبي ﷺ مع أخيه أسد بن حارثة ونفر من قومهم ، فسألوه الدعاء لهم في غيث السماء [٤] وكان خطيبهم ومتكلمهم قطن بن حارثة ، وممن أسلم أيضاً جناب بن حارثة [٥] كان يسكن الأدوات فهاجر إلى المدينة ، فبكى عليه أبوه بشعر له :

تركت أباك بالأدوات كلا
وأمّك كالعجول من الظراب
فلا وأبيك ما باليت وجدي
ولا حزني الشديد ولا اكتئاب

الزكي ، الويل كل الويل لمن كذّبني ، وتولّى عني وقاتلني ، والخير كل الخير لمن آواني ونصرني وآمن بي وصدق قولي ، وجاهد معي ، قالا : فنحن نؤمن بك ، ونصدّق قولك ، وأسلما ، وأنشأ عبد عمرو يقول :

أجبت رسول الله إذا جاء بالهدى
فأصبحت بعد الجحد لله أوجرا
وودعت لذّات القداح وقد أرى
بها سدكاً عمري وللّهو أصورا

الإصابة ، ج ٤ ، ص ٣٧٧ .

السدك : مولع ، أصور : مائل .

[2] هو : حارثة بن قطن بن زابر بن حصن بن كعب ، الكلبي . الاستيعاب ، ص ٣٠٩ .

[3] هو : قطن بن حارثة العليمي ، الكلبي ، قدم على النبي ﷺ فسأله الدعاء له ولقومه في عيث السماء وكتب له النبي كتاباً بعمل من كلب وأحلافها . المرجع السابق ، ص ٣٦٦ .

[4] الاستيعاب ، ص ٨٠ .

[5] هو : جناب بن حارثة بن صخر بن مالك ، الكلبي ، أسلم وهاجر إلى المدينة فبكاه أبوه بشعر . المعمرون ، ص ٧٢ .

ولا دمعاً تجود به المآقي

ولا أسفى عليه ولا انتحابي

فعمرك لا تلومني ولومي

جناباً حين أزمع بالذهاب

إذا هتف الحمام على غصون

جرت عبرات عيني بانسكاب

يذكرني الحمام صفي نفسي

جناباً من عذيري من جناب

أردت ثواب ربك في فراقي

وقربي كان أقرب للثواب [١]

وممن أسلم حابس بن دعنة [٢] وجارية بن أصرم الأجداري [٣] وجبلة بن حارثة [٤] أخو زيد بن حارثة وأبو منيب الكلبي [٥]، وأزرم بن زر [٦] ، وهريم بن عبد الله الذي استشهد باليمامة [١] ، وأبو هلال الكلبي [٢] وأبو دهب الكلبي [٣]، وبياض بن سوى أسلم في خلافة عمر بن الخطاب [٤] .

---

(1) المعمرون ، ص ٧٢ ، ٧٣ . والإصابة ، ج ١ ، ص٥٠١ .

(2) الإصابة ، ج ١ ، ص٥٥٨ .

(3) المرجع السابق ، ج ١ ، ص٤٤٤ .

(4) الاستيعاب ، ص ٢٣٥ .

(5) الإصابة ، ج ٧ ، ص ٣٩٠ .

(6) المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ٥٩٣ .

(1) الإصابة ، ج ٦ ، ص ٥٣٢ .

(2) المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ٤٤٥ .

(3) المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ٤٦٢ .

(4) المرجع السابق ، ج ١ ، ص٣٤٩ .

كما رفض بعض أفراد قبيلة كلب الدخول في الإسلام ، كمعبد بن وهب الذي قتل في بدر كافراً [٥] وكان حليفاً لقريش ، كما ظلّ كبار الكلبيين على نصرانيتهم حتى عهد الخليفة عثمان بن عفّان الذي تزوّج نائلة بنت الفرافصة [٦] وكانت على النصرانيّة ثمّ أسلمت ، وبعد توسّع رقعة الإسلام أحس الكلبيون الذين بقوا على نصرانيتهم عدم مقدرتهم على الاستمرار في هذا الوضع الجديد فانتقلوا إلى بلاد الروم ، فسكنوا أريافها ، ونال الإسلام منهم شرّ كبير [٧].

بعد وفاة النبي ﷺ بقليل بدأت بعض القبائل العربيّة التراجع عن الإسلام فبعد وفاته بعشرة أيام وفدت وفود القبائل على المدينة ومنهم كلب ضمن وفد قضاعة ، فطلبوا من أبي بكر الصديق أن يسقط عنهم بعضاً من فروض الإسلام ومنها الزكاة ، فلمّا رفض الخليفة ذلك عادوا إلى عشائرهم [٨] مرتدين عن الإسلام وفروضه ، ارتدّ أحد سادة قبيلة كلب وهو وديعة [١] وتبعه نفر من قومه فكتب أبو بكر إلى امرئ القيس بن الأصبغ أن يقاتل وديعة ، فسار إليه وبثّ أسامة بن زيد الخيول في بلاد قضاعة الذين ساند كثير منهم وديعة ، فهرب وديعة ومن معه من كلب وقضاعة إلى دومة الجندل ، وأمّروا وديعة [٢] . توجّه خالد بن الوليد لقتالهم ، حيث تجمّع أضراب من كلب وبهراء وغسّان وتنوخ والضجاعم ، وبعد معركة

---

[5] المغازي ، ص ١٩٢ .

[6] هي : نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث ، ابن حصين بن ضمضم بن عدي بن جناب ، تزوّجها عثمان بن عفان ﷺ وأسلمت مع أخوها ضب ، شهد مقتل عثمان ، ودافعت عنه ، فقطعت بعض أصابعها . أعلام النساء ، ج ٥ ، ص ١٤٧ .

[7] نشوة الطرب ، في تاريخ جاهليّة العرب ، علي بن سعيد الأندلسي ، تحقيق د. نصر الدين عبد الرحمن ، مكتبة الأقصى ، عمّان ، ١٩٨٢م ، ص ١٧٢ .

[8] تاريخ الطبري ، ج ٢ ، ص ٢٥٨ .

[1] تاريخ الطبري ، ص ٢٤٣ .

[2] المرجع السابق ، والصفحة نفسها .

عنيفة تمكّن خالد بن الوليد ومن معه من المسلمين فتح دومة الجندل ، وضرب أعناق المرتدّين ، وكان ضمن القتلى زعيمهم وديعة ونجا البعض الآخر حيث أسروا [٣].

توثّقت علاقة قبيلة كلب بالخلافة الإسلاميّة في عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين ، حيث كانت المصاهرة إحدى مظاهر هذه العلاقة ، فقد تزوّج النبي ﷺ شراف بنت خليفة أخت دحية بن خليفة ، لكنها توفيت قبل أن تصل إليه [٤] كما زوّج النبي ﷺ ابنة عمته زينب بنت جحش لزيد بن حارثة ، وتزوّج عثمان ابن عفّان نائلة بنت الفرافصة ، وتزوّج علي بن أبي طالب المحياة بنت امرئ القيس بن عدي ، وتزوّج عبد الرحمن بن عوف ، تماضر بنت الأصبغ [٥] وجعل النبي ﷺ امرئ القيس بن الأصبغ عاملاً له قبيل وفاته ، عن أبي عمرو عن زيد بن أسلم قال : " مات النبي ﷺ وعامله على قضاعة ، وعلى كلب امرؤ القيس بن الأصبغ الكلبي من بني عبد الله " [٦] .

كان زيد بن حارثة قد ذهب مع النبي ﷺ إلى الطائف يدعو أهلها للإسلام ، فردّوه ردّاً قبيحاً ورموه بالحجارة ، وكان زيد يقيه نفسه حتى شجّ معه ، وأصيب وشهد بدراً واستخلفه النبي عدّة مرّات على المدينة ، وجعله قائداً لعدّة سرايا منها سرية إلى القردة لاعتراض قافلة لقريش [١] وهي أوّل سريّة خرج فيها زيد بن حارثة أميراً .

---

[3] المرجع السابق ، ص ٣٧٨ ، ٣٨٩ .

[4] الاستيعاب ، ص ١٨٦٨ .

[5] الأغاني ، ج ١٦ ، ص ١٤١ .

[6] تاريخ الطبري ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ .

[1] تاريخ الطبري ، ج ٢ ، ص٤٩٢ .

وجهّز النبي ﷺ ، أسامة بن زيد بجيش إلى بلاد الروم ، إلاّ أنّه ﷺ توفي قبل مسير الجيش فأنفذه أبو بكر من بعده (٢).

---

(2) الإصابة ، ج ١ ، ص٤٩ .

تاريخ القبيلة في عصر بني أمية

ظهرت قبيلة كلب في آخر عهد الخلفاء الراشدين قوّة آخذةً في النّماء ، وقد فطن لها معاوية بن أبي سفيان ، وكان حينها والياً على الشام ، ، فتزوّج معاوية ميسون [١] بنت بحدل الكلبية ، وكان الغرض من زواجه إيّاها الاستناد على العصبية في مطالبته بدم عثمان ﷺ ومحاربته لعلي بن أبي طالب – كرّم الله وجهه – وثّق هذا الزواج العلاقة بين معاوية وقبيلة كلب فقاتلت مع معاوية في وقعة صفين ضدّ علي بن أبي طالب ، وجعل معاوية كلباً وقيساً وكنانة على الخيول ، وبقيّة القوم رجّالة [٢] .

قاتل الكلبيون تحت رايتهم التي حملها تويل بن بشر فقتل ، ثمّ أخذ الراية يزيد بن قيس فقتل ، فأخذها مالك بن يزيد ، فقتل ، ثمّ أخذها محرز بن حريث ، فجرح ، ثمّ أخذها الحراق بن حصين ، فجرح [٣].

اعتمد عليهم معاوية اعتماداً كبيراً في الحرب والسلم ، فقد استعمل معاوية ، حسان بن مالك بن بحدل مؤدّباً لابنه يزيد ، وعاملاً له على فلسطين طوال عهده وعهد ابنه يزيد ، ثمّ معاوية بن يزيد [٤] .

---

[1] هي : ميسون بنت بحدل بن أنيف بن قنافة الكلبيّة ، زوّجها أبوها لابن أخيه زامل بن عبد الأعلى ، فقتله أخ له كان قد خطبها ، ثمّ تزوجها معاوية فولدت له يزيد ، وطلّقها وهي حامل به . أنساب الأشراف ، ج١ ، ص ١٤٩ .

[2] وقعة صفين ، نصر بن مزاحم المنقري ، تحقيق عبد السلام هارون، ط٣ مطبعة الجانجي ، القاهرة ، ١٩٨١م ، ص ٢٢٥ – ٢٢٧ .

[3] بغية الطلب ، في تاريخ حلب ، كمال الدين بن العديم ، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، فرانكفورد ، ط سنة ١٩٨٦م ، ج٥ ، ص ١٨١ .

[4] تاريخ الطبري ، ج٥ ، ص ١٣١ .

وتوثّقت علاقة قبيلة كلب بالمصاهرة ، بالإضافة إلى زواج معاوية من ميسون ، تزوّج نائلة بنت عمّار [١].

ألف شعراء قبيلة كلب مجالس بني أميّة ، وتقرّبوا إليهم كجواس بن القعطل [٢] ، كما قربهم الخلفاء من المناصب الهامّة ، قد كان الأبرش بن سعيد بن الوليد الكلبي كاتباً لهشام بن عبد الملك [٣] .

كما ولّى الحجاج بن يوسف ، عبد الرحمن بن سليم ، فارس ، وولّى يزيد بن أبي صخر ، نصيبين [٤]، وولّى الحكم بن عوانة على خراسان [٥] .

وبعد وفاة معاوية بن يزيد بن معاوية، تنازع خالد بن يزيد ، وعبد الله بن الزبير على الخلافة ، ودانت كل الأمصار لابن الزبير بالخلافة عدا الأردن ، الذي كان تحت إمرة حسّان بن مالك بن بحدل الكلبي ، وانقسم الناس إلى فريقين فريق يؤيّد ابن الزبير ، وهي القبائل القيسية ، وفريق يؤيّد بني أميّة ، وهي القبائل اليمنية ، وعلى رأسها كلب ، واتفق الفريقان على مؤتمر يعقد بالجابية لحسم النزاع حول الخلافة . وكان حسّان بن مالك زعيم القبائل اليمنيّة ، يؤيد خالد بن يزيد ، الذي كان ينافسه على الخلافة بجانب ابن الزبير ، مروان بن الحكم ، الذي كان

---

(1) الأغاني ، ج٤ ، ص ٢٩١ .

(2) هو : جواس بن القعطل بن سويد بن الحارث بن جناب الكلبي ، كان من أكبار كلب في زمانه وشاعرها في عصر بني أميّة ، ومن أبرز الداعين لبني أميّة ، الأغاني ، ج١٩ ، ص ١٨ .

(3) تاريخ الطبري ، ج٦ ، ص ١٨١ .

(4) معجم ما استعجم ، ص ٢١٠ .

(5) الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص ١٤٣ .

أقدر على منافسة ابن الزبير ، الذي كان ذا دين وصلاح وتجربة ، لم تكن لخالد . فبايع حسّان لمروان ، وهو يريد أن يجعل الأمر من بعده لخالد بن يزيد [١].

كان الموقف ينذر بالانفجار بين مروان وابن الزبير ، فقامت قبيلة كلب وغسان بحركة انقلاب في دمشق ، ضدّ الضحّاك بن قيس الفهري ، الذي كان مؤيّداً لابن الزبير ، فثاروا ضدّ الضحّاك ، واستولوا على بيت المال [٢] .

هذه الثورة ساعدت مروان على الاستعداد للضحّاك الذي قاد أتباعه الزبيريين ، فالتقى الفريقان في مرج راهط ، وفيها أبلت كلب بلاءً حسناً حيث قتل الضحّاك علي يد زحنة بن عبد الله الكلبي [٣]. وكان معظم جيش مروان البالغ عدده سبعة آلاف من قبيلة كلب [٤].

هذه المعركة أوصلت قبيلة كلب إلى أوج عظمتها ، وقوّتها . وزاد نفوذها السياسي ، فتحوّلت القبيلة إلى قوّة مدافعة عن الحكم ، ليس في الشام وحده ، بل في مختلف أمصار الخلافة .

---

[1] تاريخ الطبري ، ج ٥ ، ص ٦١٠ .

[2] المرجع السابق ، ص ٥٣٧ .

[3] تاريخ الطبري ، ج ٥ ، ص ٥٣٨ .

[4] الأغاني ، ج ١٩ ، ص ١٩٦ .

الباب الأول

الأغراض الشعريّة عند شعراء قبيلة كلب

ويشمل :

الفصل الأول : المدح والحماسة .

الفصل الثاني : الفخر والرثاء .

الفصل الثالث : الغزل والهجاء .

الفصل الرابع : الحنين والحكمة .

الفصل الخامس : الخصومات .

الفصل الأوّل

المدح والحماسة

أولاً : المدح

المدح في اللغة : مدحه مدحاً أحسن الثناء عليه [١] .

والمديح هو تعداد الجميل من الصفات ، ووصف الشمائل الكريمة ، وإظهار التقدير العظيم الذي يكنّه الملقى لمن توافرت فيهم تلك المزايا ، وعرفوا بتلك الشمائل ، وهي خاصية إنسانية تجدها لدى جميع الشعوب في مختلف العصور . وفن المديح أقدم الفنون الأدبيّة . والشعر العربي لم ينشأ فيه المديح بدافع التكسّب بادئ ذي بدء ، ولم يكن المادحون الأوائل يتوخون التزلّف والربح ، بل نشأ فن المديح عند العرب إعجاباً بالفضيلة وثناء على صاحبه وحباً بالجليل من الأعمال . " ولم يعرف التكسب بالمدح إلاّ عندما أخذ الشعراء ينزحون عن قبائلهم ويترددون على الأحياء الغريبة ، ويقرعون أبواب الملوك والسوقة ، مادحين مستجدين هاجين من لا يحسن لهم العطاء ، فحبطت منزلتهم ، حتى نشأ النابغة الذبياني ، فمدح الملوك ، وقبل الصلة من الشعر ، وخضع للنعمان بن المنذر ، وكان قادراً على الامتناع عنه بمن حوله من عشيرته ، أو من سار إليه من ملوك غسّان ، فسقطت منزلته ، وتكسّب مالاً جسيماً حتى كان أكله وشربه في صحون الذهب والفضّة " [٢].

والذي لا خلاف حوله أنّ طبيعة الحياة العربيّة في العصر الجاهلي والنظم المعيشيّة التي كانت سائدة آنذاك هي التي ساعدت على شيوع مثل هذا الفن ، وعلى انتشاره ، فلقد عاش العرب قبل الإسلام في معظمهم داخل إطار الجزيرة العربية وجلّها أرض قاحلة قليلة الماء ، قليلة النبات ، ممّا فرض على

---

[١] لسان العرب ، مادة (مدح) .

[٢] أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، بطرس البستاني ، توزيع دار الجيل ، بيروت ، ط ١٩٨٩م ، ص ٤٩ .

البدوي أن يعيش حياة خشنة قاسية يقضي كل عمره في العمل المضني من أجل الحصول على ما يقيم به أود حياته ، من هنا كان البدوي معتدّاً بنفسه صلفاً بها ، غيوراً على شرفه وعرضه وماله ، حريصاً على الظهور أمام الناس بمظهر الرجل المحترم ، والبطل الشجاع الكريم الأبي ، ولاتصال الشاعر بالحياة القبلية ، كان عليه أن يدافع عن أعراض قومه ويطري فضائلهم ، ويمجّد بطولاتهم .

قال ابن رشيق [١]: " إنّ الفضائل التي يمتدح بها الناس أربع ، وهي : العفّة ، والعقل ، والشجاعة ، والعدل ، وتتفرّع فروع ثانويّة " فثقابة المعرفة والبيان والسياسة والصدع بالحجّة والعلم والحلم عن سفاهة الجاهل داخلة في باب العقل ، والحماسة والأخذ بالثأر والدفع عن الجار والنكاية في العدو والسير في المهامه والقفار الموحشة من باب الشجاعة ، والسماحة والتغابن والإتظلام والتبرّع بالنائل والإجابة للسائل وقرى الأضياف هي من أقسام العدل " [٢] .

أمدح بيت :

" قالوا لمّا حضرت الحطيئة [٣] الوفاة قال : أبلغوا الأنصار أنّ أخاهم [٤] أمدح النّاس حيث يقول :

يغشون حتّى ما تهرّ كلابهم

---

[١] هو : أبو الحسن بن رشيق ، شاعر ، أديب ، نحوي ، لغوي ، عروضي ، مؤرّخ ، ولد بالمهدية ورحل إلى القيروان ، وتوفّي بها ، من تصانيفه (العمدة في صناعة الشعر ونقده وعيوبه) ، و(تاريخ القيروان) و(الشذور في اللغة) . معجم المؤلفين ، ج ١ ، ص ٥٥١ .

[٢] العمدة ، ج ٢ ، ص ١٣٢ .

[٣] هو أبو مليكة جرول بن أوس بن مالك ، لقّب بالحطيئة لقربه من الأرض ، فإنّه كان قصيراً وهو من فحول الشعراء وفصحائهم ، وكان ذا شرّ ، أسلم وارتدّ ، وكان هجاءً ، توفي نحو سنة ٣٠هـ . ذيل وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصريّة ، ١٩٥١م ، مطبعة السعادة ، ج ١ ، ص ١٩٢ – ١٩٥ .

[٤] يقصد به : أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو الأنصاري ، الخزرجي شاعر الرسول ﷺ ، الإصابة ، ج ٢ ، ص ٦٢ – ٦٣ .

لا يسألون عن السواد المقبل [١]

قال ثعلب : [٢] بل قول الأعشى [٣] :

فتى لو يباري الشمس ألقت قناعها

أو القمر الساري لألقى المقالدا [٤]

وقال أبو عمرو بن العلاء بل بيت جرير [٥] :

ألستم خير من ركب المطايا

وأندى العالمين بطون راح [٦]

مدح شعراء قبيلة كلب سادتهم وسادة غيرهم من القبائل وبعض قبائل العرب التي أكرمتهم وقبلت جوار بعضهم .

---

[١] البيت في مدح بني جفنة من غسان ملوك الشام ، وقبله :

لله در عصابة نادمتهم

يوماً بجلق في الزمان الأول

يسقون من ورد البريص عليهم

خمراً تصفّق بالرحيق السلسل

طبقات الشعراء ، ص ٨٥ .

[٢] هو : أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن يسار النحوي الشيباني بالولاء ن المعروف بثعلب ، كان إمام الكوفيين في النحو واللغة ، ولد سنة ٢٠٠هـ من مصنفاته (مجالس ثعلب) ، توفي ببغداد سنة ٢٩١هـ . وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ١١٨ .

[٣] هو : أبو بصير ميمون بن قيس ، كان شاعراً جاهليّاً ، وأدرك الإسلام في آخر عمره ، ورحل إلى النبي ﷺ ليسلم فقيل له : إنّه يحرّم الخمر والزنا فقال أتمتع منها سنة ثمّ أسلم ! فمات قبل ذلك بقرية اليمامة . الشعر والشعراء ، ج ١ ، ص ٢٥٧ .

[٤] ورد البيت في ديوان الأعشى بـ(لو ينادي) بدلاً من يباري ، تحقيق إبراهيم حزيني ، دار صادر ، ١٩٦٦م ، بيروت ، ص ٤٦ .

[٥] هو : أبو حرزة جرير بن عطيّة ، الخطفي التميمي ، الشاعر المشهور ، كان من فحول شعراء الإسلام ، كانت بينه وبين الفرزدق مهاجات ونقائض ، توفي سنة ١١١هـ . وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٣٠١ .

[٦] ديوان جرير ، دار صادر ، بيروت ، ص ٧٧ .

يأتي في مقدمة المدح مدح النبي ﷺ ، من ذلك عندما وفد حارثة بن قطن على النبي ﷺ فأسلم كتب له النبي كتاباً إلى قومه من كلب ، ودعا له ، فمدح قطن النبي ﷺ وأثنى عليه مشبهاً النبي الكريم بالبدر ، ورأى فيه أن يكون أهلاً للثناء بإخراجه للناس من مجاهل الوثنية وغيّها إلى رحاب الإسلام ونوره :

وجدت يا خير البرية كلها
نبت نضاراً في الأرومة من كعب
أغرّ كأنّ البدر سنّة وجهه
إذا ما بدا للناس في حلل العصب
أقمت سبيل الحقّ بعد اعوجاجها
وبيت اليتامى في السقاية والجدب [١]

أمّا قتادة بن شعاث [٢] فقد حمل حمالة وسأل قبيلته كلباً أن تعينه عليها فلم تفعل فلجأ إلى المغيرة بن شعبة [٣] والي الكوفة فلم يعنه فسأل السري بن وقاص الحارثي فأعانه ، فمدحه بأبيات يبيّن فيها ما لاقاه في سفره من المسافة إلى ممدوحه من نصب وتعب كي يعبّر عن شكره وامتنانه ، ويدعو للسري الذي حمل عنه حملاً ثقيلاً أعجز كلباً كلها وجميع ثقيف عن حمله :

إليك من الأوداة يا خير مذحج
عسفت بها أهوال كل تنوف

---

[١] الإصابة ، ج ١ ، ص ٦٢٧ .

[٢] هو : قتادة بن شعاث ، أحد بني تيم اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب . معجم ما استعجم ص ٢١٠ .

[٣] هو : المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب يكنّى أبا عبد الله ، شهد بيعة الرضوان ، ولي الكوفة في عهد عمر بن الخطاب ، وبايع معاوية بعد مقتل عثمان ، ثمّ ولاه معاوية الكوفة ، وتوفي بها سنة ٥٠هـ . الإصابة ، ج ٦ ، ص ١٩٨ .

حملت عن اليتمى ثقلاً وقد أبت

حمالته كلب وجمع ثقيف [1]

ويمدح بشير بن النكث [2] بني رفاعة قائلاً :

أجدى فأشربي بحياض قوم

عليهم من فعالهم حبير

فإنّ بني رفاعة في معدّ

هم اللجأ المؤمل والنصير

هم الأخيار منسكة وهديا

وفي الهيجا كأنّهم الصقور

عن الفحشاء كلهم غبيّ

وبالمعروف كلهم بصير

خلائف بعضهم فيها لبعض

يؤمّ كبيرهم فيها الصغير [3]

فهو يحث ناقته على السير كي تشرب من حياض بني رفاعة ، ومعنى ذلك أن يشرب هو أيضاً من حياضهم بنيله شيئاً من رفدهم وعطاياهم ، فهذه أفعالهم ظاهرة للقريب والبعيد ، إذ هم ملجأ كلّ ملهوف ومستغيث ، وقد جمل الشاعر الصورة في البيت الرابع عندما تضمّن مدحه صفات حميدة دعا إليها الإسلام ، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثمّ إنّ هذه الصفات يتساوى فيها الصغار والكبار .

---

(1) معجم ما استعجم ، ص ١٠ .

(2) هو : بشير بن النكث الكلبي . ذيل الأمالي والنوادر ، تأليف أبو علي إسماعيل بن قاسم القالي البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص ٥٦ .

(3) المرجع السابق ، ص ٥٦.

يمدح غطيف بن تويل [١] جبلة بن أساف [٢] الذي ولّى قومه فعمل على إصلاح حالهم فشبهه غطيف بالفاروق عمر ، ولقّب جبلة بالفاروق لهذا البيت :

حين سعى الفاروق في قومه

سعى امرئ في قومه مصلح [٣]

ويمتزج المدح بالحماسة عندما يكون متعلّقاً بحالة الاستعداد التي ينتظرها الشاعر لرؤية ممدوحه قادماً وهو يقود جيشه . نجد هذا النوع في أبيات الحصين بن جمال [٤] يمدح يزيد بن عبد الملك بن مروان ويتشوّق لرؤيته وهو قائد لجيشه ، ثمّ يصوّر قدوم الجيش وحركته ، ثمّ يصف يزيد بالشجاعة وعدم الجبن ، وأنّ الملوك يسجدون له ، وإنّه لا ينقض العهد ، كما أنّ أصله شريف :

لعلّ عيني أن ترى يزيدا
يقود جيشاً جحفلاً شديدا
تسمع للأرض به وئيدا[٥]
لا برماً هدا ولا حسودا
ولا جباناً في الوغى رعديدا
ترى ذوي التاج له سجودا
مكفّرين خاشعين قودا
وآخرين رحبوا وفودا

---

[١] هو : غطيف بن توبل بن عديّ بن جناب ، الديوان ، ص ١٩٤ .

[٢] هو : جبلة بن أساف بن هزيم بن عدي بن جناب . المصدر السابق ، ص ١٩٤ .

[٣] الديوان ، ص ١٩٤ .

[٤] هو : الحصين بن جمال بن حبيب بن جابر بن مرابق من بني عبود ، لقّب بالقطامي وكان شاعراً محسناً شهد يوم بنات قين كاد أن يقتل فيها . تاريخ الطبري ،ج ٥ ، ص ٥٨٥

[٥] الأبيات في خزانة الأدب ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ .

لا ينقض العهد ولا المعهودا

من نفر كانوا هجاناً صيدا

ترى لهم في كل يوم عيدا

من الأعادي جزراً مقصوداً[1]

من المدح أيضاً أبيات لميسون بنت بحدل تلاعب ابنها يزيد وتمدحه بصفات ، ترى أنّه خير شبان العرب ؛ لاتصافه ببعض الصفات الحميدة منها الحلم في الرضاء والغضب ، والكرم والبذل والسخاء ، ثمّ تدعوا له أن تفديه بنفسها وأمها وأبيها بل اسرتها كلها من شر البلايا والفتن :

إنّ يزيد خير شبّان العرب

أحلمهم عند الرضى وفي الغضب

يبدر بالبذل وإن سيل و هب

تفديه نفسي ثمّ من أم وأب

وأسرتي كلهم من العطب [2]

ويمدح مرّة بن جنادة [3] جيش علي بن أبي طالب في وقعة صفين :

ألا سألت بنا غداة تبعثرت

بكر العراق بكل عضب مقصل

برزوا إلينا بالرماح تهزّها

بين الخنادق مثل هزّ الصيقل

والخيل تضبر في الحديد كأنّها

---

[1] تاريخ الطبري ، ج ٦ ، ص ٥٨٥ .

[2] أنساب الأشراف ، ج ١ ، ص ١٤٩ .

[3] هو : مرّة بن جنادة العليمي من بني عليم بن جناب ، شهد صفين مع علي بن أبي طالب ، وقعة صفين ، ص ٤٧٥ .

أسد أصابتها بليل شمأل [١]

يمدح مالك بن عمرو [٢] آل زرعة بن عمرو الحميري ، يمدحهم بالصفات التي ذكرتها ميسون في ابنها يزيد ، إلاّ أنّه يضفي عليهم هالة من المجد في حروبهم التي كانت لهم الصولة فيها ، ويكثر الشاعر من ذكر كلمة هم ، وهو تكرار على سبيل التنويه والإشادة تكرار أطناب :

متى تفخر بزرعة أو بحجر
تجد فخراً يطير به السناء
هم السادات من أبناء عمرو
ومن لهم المهابة والبهاء
وهم قاموا بحرب ما جنوها
فكان لهم رحاها واللواء
وهم وقفوا على ماء الركايا
لتكرع في النجيع قنى ظماء
وهم عادوا بعفو من حلوم
وهم ساسوا البرية كيف شاءوا [٣]

ملاحظات حول المدح عند شعراء قبيلة كلب :

١/ أكثر مدحهم مدح قومي ، لم يكن وراءه تكسّب ، عدا نماذج قليلة كأبيات سعد بن شعاث في السري بن وقاص .

---

[١] وقعة صفين ، ص ٣٧٤ .

[٢] هو : مالك بن عمرو ، كان جاراً لحمير اليمني . الإكليل ، الحسن بن يعقوب الحمداني ، تحقيق محمّد بن علي الأكوع ، صنعاء ، سنة ١٩٦٦م ، ج٢ ، ص ١٢٢ .

[٣] المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢ .

٢/ المـدح الفـردي ، علـى قلتـه ، كـان دافعـه الأول إعجـاب الشـاعر بالصـفات الحميـدة التـي رآهـا فـي الممـدوح ، كمـا فـي أبيـات ميسـون ، وأبيـات غطيف ، لم يكن مدح يرجى من ورائه هبة ولا منّة .

٣/ لم يعدلوا عن الفضائل التي تختصّ بالنفس كالعقل ، والعفّة ، والعدل ، والشجاعة .

ثانياً : الحماسة

الشعر الحماسي هو كل شعر له صلة بالحرب والبسالة والإقدام وإيثار الموت والأخذ بالثأر . وبديهي أنّ حياة البداوة وما يكون بين القبائل من تنافس وتناحر وحروب تدوم أعواماً طوالاً يجعل شعر الحماسة يأخذ حيزاً كبيراً من الشعر العربي .

خاضت قبيلة كلب أياماً كثيرة مع بعض القبائل الأخرى والأمم المجاورة وقد قاد زهير بن جناب وحده قبيلة كلب في أكثر من مائتي غزوة [١] هذه الأيام والغزوات الكثيرة نتج عنها شعر حماسي تتغنّى به القبيلة وتصف ما حدث فيها وتفخر بانتصاراتها فيها ، من الشعر الحماسي أبيات زهير بن جناب يصف انتصار قبيلة كلب على غطفان التي بنت حرماً تضاهي فيه حرم الكعبة [٢] ويصوّر زهير كيف قتل العديد من أبطالهم ، وسبى نساءهم ، ولولا أنّ ما كان يتمتّع به فرسان قبيلة كلب من قوّة وشكيمة لأنتصرت عليهم غطفان ، كما انتصرت على القبائل الأخرى :

فلم تصبر لنا غطفان لمّا
تلاقينا وأحرزت النساء

فلولا الفضل منّا ما رجعتم
إلى عذراء شيمتها الحياء

وكم غادرتم بطلاً كميّاً
لدى الهيجاء كان له غناء

---

[١] المعمرون ، ص ٣٥ .

[٢] الكامل في التاريخ ، ج ١ ، ص ٥٠٢ .

فدونكم ديوناً فاطلبوها

وأوتاراً ودونكم اللقاء

فخلّى بعدها غطفان بسّاً

فما غطفان والأرض الفضاء

فقد أضحى لحي بني جناب

فضاء الأرض والماء الرواء

ويصدق طعننا في كل يوم

وعند الطعن يختبر اللقاء

نفينا نخوة الأعداء عنّا

بأرماح أسنّتها ظماء

ولولا صبرنا يوم التقينا

لقينا مثل ما لقيت صداء [١]

ويصف الهبل بن عامر [٢] الكلبي ما فعلت قبيلة كلب بمراد وخثعم يوم صوران عندما هزمتهم شرّ هزيمة وأسرت فرسانهم وسبت نساءهم :

وزوجة مغيار وصلت وجسرة

عجزت عليه لمتي بردائيا

لعمري لقد لاقت مراد وخثعم

بصوران منّا إذا لقونا الدواهيا [٣]

ويدخل في باب الحماسة أيضاً رفض أخذ الديّة ، ولا بدّ من الثأر وإنّ نار الثأر لا تنطفي إلاّ بالأخذ بها . هذا النوع من الشعر الحماسي نجده في

---

(١) الكامل في التاريخ ، ج ١ ، ص ٥٠٣ .

(٢) هو : الهبل بن عامر بن علقمة بن الحارث بن جعفر بن مالك بن امرئ القيس بن عميرة بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر . معجم الشعراء ، ص ٤٧٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٧٢ .

أبيات حمل بن مسعود [١] الذي يعيّر شخصاً تقاعس عن ثأره ، وفضّل الدعة والخمول ، وأنّ هذه الصفات ليس من صفات الأحرار :

لو كنت حرّاً كريماً ذا محافظة
ما نمت إلاّ ونار الحرب تشتعل
حتّى تساق نساء سوق نسوتكم
بما أصابكم أو يبلغ الأجل [٢]

ويستنهض عمرو بن أسود [٣] بني تيم اللات للأخذ بالثأر ، إذ ليس من عاداتهم النوم على ثأر :

فإن يك صادقاً بالتيم ظنّي
يشبّ الحرب ألوية كرام
فما أدري وعليّ سوف أدري
أحلّ مال أهيب أم حرام
وأهيب معشر من جذم كلب
لهم نسب وإلّلهم قدام [٤]

ويصف امرؤ القيس بن بحر [١] ما فعله بعدوّه ، إذ صرعه فطعنه ثمّ سحبه برمحه ، وتركه طعاماً للسباع التي يمنّ عليها بهذه الوليمة :

---

[١] هو : حمل بن مسعود بن نعيم بن جبيلة بن زيد مناة بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن جنب ، يلقّب بالمرعّش . حماسة البحتري ، ص ٣٠ .

[٢] المرجع السابق ، ص ٣٠ .

[٣] هو : عمرو بن أسود ، من بني عامر الأجدار بن عوف ، شاعر فارس مطاع في قومه . المؤتلف والمختلف ، ص ٥٠ .

[٤] معجم الشعراء ، ص ٦٤ .

[١] هو : امرؤ القيس بن بحر بن الحارث بن امرئ القيس بن زهير بن جناب . المؤتلف والمختلف ، ص ٨ .

طعنت غداة القاع شملة طعنة

تركت أبا أوس صريعاً مجدّلا

وأجررته رمحي فغودر ثاوياً

عليه سباع القاع يردين حجلا [١]

ويعتذر الربيع بن عقيل عن هزيمة قضاعة يوم سحامة أمام همدان ويتوعدونها بيوم سيثأرون فيه منها ؛ لأنّ الأيام دول ، والحرب سجال نصر وهزيمة ، ويتوعد أنّ اليوم القادم من هوله ، ستشيب ، له شعور الفتيات ، وتسخن أعين أعدائه لكثرة بكائهم على قتلاهم ؛ لأنّ الدم المراق لا ثأر له إلاّ الدم المراق :

ألا أبلغن ابن الطفيل وبلّغن

حميد بن قيس والرسول أمين

بأنّكم لن تذهبوا بدمائنا

ولكنّ ستقضى والديون دقون

سنصحبكم يوماً بيوم سحامة

تشيب له في القانيات قرون

وتسخن منكم أعين باقتضائنا

لما قرّ منكم أمس فيه عيون

دماً بدم والحلّ حلاً بمثله

كذا الحرب تحنو مرّة وتخون [٢]

تحاربت قبيلة كلب ، وعبس في عراعر ، وانتصرت عبس بخديعة دبرتها بعد أن كانت كلب قاب قوسين أو أدنى من النصر ، فهجا عروة بن

---

[١] المؤتلف والمختلف ، ص ٨ .

[٢] الأكليل ، ج ١٠ ، ص ١٦٤ .

الورد العبسي [١] كلباً مفتخراً بانتصار عبس بقصيدة مطلعها :

مضى القوم مسعوداً وغالت رماحنا

حصيناً وغيلاناً بهنّ غوائله [٢]

فانبرى له عقيل بن مسعود [٣] بقصيدة مبيناً تفوق قبيلة كلب في تلك المعركة التي كبّدت فيها العبسيين خسائر في الأرواح ، وترك فرسان كلب فيها جثث العبسيين مبقورة الأبطن ، ومقطوعة ، تعبث فيها السباع ، وذلك اليوم يراه عقيل انتصاراً لكلب لا عليه :

كذبت لقد نالت قضاعة منكم

برغمك ما كانت لديك تحاوله

ونالت لعمري من بني عبس يافعاً

من العزّ ما كادت تنال أطاوله

لربّ همام قد رهنا عراعرا

مخضّبة بالأرجوان أنامله

تركناه لمّا خرّ يكبو وحشوه

من الرّمح باع قد تغيّب عامله

وسائل سباع الأرض والطير إنّنا

مؤائدها إذ تلتقيه وتأكله

---

[١] هو : عروة بن الورد بن زيد العبسي ، من غطفان ، من شعراء الجاهليّة ، وفرسانها ، وأجوادها ، كان يلقّب بعروة الصعاليك ، لجمعه إياهم ، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم قال عبد الملك بن مروان : من قال إنّ حاتماً أسمح النّاس فقد ظلم عروة بن الورد . الأعلام ، ج ٤ ، ص ٢٢٧ .

[٢] الكامل في التاريخ ، ج ١ ، ص ٥٨١ .

[٣] هو : عقيل بن مسعود الكلبي ، سيّد قضاعة باليمن ، والقائم على أمرها في حربها مع حمدان . الإكليل ، ج ١٠ ، ص ١٢٤ .

فخرت بيوم يا ابن ورد عليكم

وهل ترجعن حقاً من الأمر باطله [(١)]

بعد أن أمر أبرهة زهيراً على بكر وتغلب اشتدّ عليهم زهير ، ما يطلب منهم من الخراج ، فأقام بهم الحرب ومنعهم النجعة حتى يؤدّوا ما عليهم ، فكادت مواشيهم تهلك ، فلمّا رأى ابن زيابة أحد بني تيم اللات بن ثعلبة ، وكان فاتكاً أتى زهيراً وهو نائم ، فاعتمد التيمي السيف على بطن زهير فمرّ فيها حتى خرج من ظهره وسلمت أمعاؤه وطنّ التيمي أنّه قتله ، وعلم زهير أنّه قد سلم فلم يتحرّك لئلا يجهز عليه ، فانصرف التيمي إلى قومه وأعلمهم أنّه قتل زهيراً ، فسرّهم ذلك وكان مع زهير نفر من قومه فأمرهم أن يظهروا أنّه ميّت ، وساروا به مجدين إلى قومهم فجمع زهير الجموع وبلغهم الخبر فقال ابن زيّابة :

طعنت طعنة في غلس الليل

زهيراً وقد توافى الخصوم

حين يحمي له المواسم بكر

أين بكر واين منه الحلوم

خانني السيف إذ طعنت زهيراً

وهو سيف مضلل مشؤوم [(٢)]

وجمع زهير من قدر عليه من أهل اليمن وغزا بكراً وتغلباً فقاتلهم فتالاً انهزمت بكر ، ثمّ انهزمت تغلب ، وأسر كليب ومهلهل ابنا ربيعة ، وأخذت الأموال ، وكثر القتلى فقال زهير يصوّر ذلك المشهد الحماسي :

أين أين الفرار من حذر المو

ت إذا يتقون بالأسلاب

إذا أسرنا مهلهلاً وأخاه

---

(١) الديوان ، ص ١٨٧ .

(٢) الكامل في التاريخ ، ج ١ ، ص ٥٠٤ .

وابن عمرو في القيد وابن شهاب

وسبينا من تغلب كل بيضاء

رقود الضحى برود الرّضاب

حين تدعوا مهلهلاً يا لبكر

ها أهذي حفيظة الأحساب

ويحكم ويحكم أبيح حماكم

يا بني تغلب أنا ابن رضاب

فهم هاربون في كل فجّ

كشريد النعام فوق الروابي

واستدارت رحى المنايا عليهم

بليوث من عامر وجناب

فهم بين هارب ليس يألو

وقتيل معفرّ في التراب

فضل العزّ عزّنا حين نسمو

مثل فضل السماء فوق السحاب (١)

هناك نوع آخر من الحماسة ، وهي وصف الخيل والمكانة الأثيرة التي تجلها فيهم ، من حيث ثبات الفرس في المعركة أو سرعة عدوها حتى ينجي صاحبه من الهلاك ، لذلك كانوا يؤثرونه بجيد الطعام والماء على العيال ، من هذا النوع من الشعر الحماسي بيتي حارثة بن أوس (٢) في فرسه الذي أنجاه يوم عذر ، يصوّر كيف يقفز فرسه :

ولولا جري حومل يوم عذر

---

(١) الكامل في التاريخ ، ج ١ ، ص ٥٠٥ .

(٢) هو : حارثة بن أوس ، الكلبي ، جاهلي . المحبر ، ص ٣٢٩ .

لمزّقني وإيّاهم السلاح

تثيب إثابة اليعفور لمّا

تناول ربّها الشعث الشحاح [١]

ويعتزّ خنيس بن الحداء [٢] بفرسه (لبنى) التي أهداها له أقرباؤه إذ أنجته من الموت بعد أن قطعت يده في المعركة ، ولولا سرعته لأدركه الهلاك ، وخرّ صريعاً تدوسه سنابك الخيل :

فإن أهلك فقد أورثت خيراً

وقد أعظمت وصل بني هلال

وقد أقحمت لبنى وسط غمر

لتمنعهم وقد قطعوا شمالي

فلم أر مثلها صلة ابن أخت

ولم أر مثلها إهداء خال [٣]

يصف جبار بن قرط [٤] فرسه (دباس) بسرعته عندما يريد الهرب من أعدائه وببطئه وترقبه عندما يريد الاقتراب للنيل منهم ، وذلك ما يريده الفارس من فرسه . وهو التجاوب معه في القتال :

ألا أبلغ أبا كرب رسولاً

مغلغلة وليست بالمزاح

---

[١] المحبر ، ص ٣٢٩ .

[٢] هو : خنيس بن الحداء بن فرط بن حارثة المذمم بن عوف بن عامر الأكبر . الديوان ، ص ١٥١ .

[٣] الديوان ، ص ١٥١ .

[٤] هو : جبار بن قرط بن حارثة بن عامر المزمم بن عوف بن عامر الأكبر ، كان عظيم القدر في كلب . العباب الزاخر واللباب الفاخر ، الحسن بن محمّد الصغاني ، تحقيق محمّد الحسن آل ياسين ، ط١ ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، سنة ١٩٨٠م ، حرف السين ، ص ١٤٢ .

فإنّي لن يفارقني دباس

ومطرد أخذ من الرماح

يراخيني إذا ما شئت منهم

ويدنيني إذا كرهوا جناحي [١]

ويصوّر الهبل بن عامر [٢] شدّة المعركة التي خاضها ، وصفات الاحتمال والصبر على الخيول التي تجول في ساحة المعركة ، وهي كارهة لما تراه من قتل وضرب وطعن يسقط له الأبطال والفرسان قد ضاقوا بهذه الحرب الضروس التي يسقون فيها مختلف أنواع الشراب المر كالعلقم ، فلا ينجو منها إلاّ المحظوظ ، بينما الخيل أخفت ما تلاقيه من هول المعركة ، من جريان أنوفها بالدّم وتكسر الرماح في أجسادها وغرسها فيها وطعن من كل جانب :

عشيّة تكبو الخيل في قصد القنا

وتنزع من لباتها ترعف الدّما

إذا كظّهنّ الطعن من كل جانب

كظمن فما يشكين إلاّ تحمحما

بمعترك ضنك المكر كأنّما

يساقي به الأبطال صاباً وعلقما [٣]

[١] أسماء خيل العرب وأنسابها ، ص ٩٩ – ١٠٠ .

[٢] هو : الهبل بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن أوس الكلبي . معجم الشعراء ، ص ٤٧٢ .

[٣] المرجع السابق ، والصفحة نفسها .

الفصل الثاني

الفخر والرثاء

أولاً : الفخر

الفخر هو التغني بالفضائل والمثل العليا ، والتباهي بالسجايا النفسية والصفات القومية ، ويكره الناس الحديث عن النفس والتباهي بها ويعدّونه غروراً إلاّ في الشعر فإنّه مقبول ، يقول ابن رشيق : " ليس لأحد من الناس أن يطري نفسه ويمدحها في غير مفاخرة ، إلاّ أن يكون شاعراً ، فإن ذلك جائز له في الشعر غير معيب عليه " [(١)].

من الشعراء من يؤثر في قومه الفخر فينسب إليهم كل فضيلة ، ويتحدّث عن فضائله من خلال فضائل قومه ، كما في أبيات الفرزدق [(٢)] :

إنّ الذي سمك السماء بنا لنا
بيتاً دعائمه أعزّ وأطول
بيتاً زرارة محتباً بفنائه
ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
بيتاً بناه لنا المليك وما بنى
حكم السماء فإنّه لا ينقل
أحلامنا تزن الجبال رزانة
وتخالنا جناً إذا ما نجهل [(٣)]

---

(١) العمدة ، ج١ ، ص ٢٠١ .

(٢) هو : أبو الفراس همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي ، الشهير بالفرزدق ، شاعر من فحول الشعراء ، وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل ، توفي سنة ١١٠هـ . معجم الأدباء ، ٦/ ٢٧٥ .

(٣) ديوان الفرزدق ، دار صادر ، ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م ، ج ٢ ، ص ١٥٥ .

وقد يخصّ الشاعر نفسه بالأخلاق الكريمة ، والصفات الحميدة ، كما في بيتي طرفة بن العبد [١] :

إذا القوم قالوا من فتى خلت أنني

عنيت فلم أكسل ولم أتبلّد

وإن يلتق الحيّ الجميع تلاقني

إلى ذروة المجد الكريم المصمد [٢]

قام الفخر على الفضائل الاجتماعية التي أقرتها الحياة العربية القديمة فالعرب عاشوا في بلاد صحراوية قليلة الماء مجدبة ، وكانت كل قبيلة تحاول أن تثبت امتيازها على غيرها من القبائل الأخرى حبّاً للتسامي والشرف ، وشعوراً بالعزّة ، وكان الاعتقاد السائد عندهم أنّ القوّة والسيطرة جزء لا يتجزأ من هذه الحياة ما دامت الغلبة للقوي ، وكانت هذه المفاهيم دافعاً للشعراء كي يقولوا شعرهم ، كلّ يفخر بما لقبيلته من مكانة سامية ، فالرجولة الحقّة هي التي تتمثّل في الشجاعة ، والفروسيّة ، والإقدام ، وخوض الحرب وكسب الغنائم ، وتحمّل المكاره ، فهذه الصفات هي التي تصقل مواهب الرجل وتجعله أكثر احتراماً بين عشيرته وقومه ، وعند ذلك تمنحه القبيلة قيادتها وسيادتها .

[١] هو : طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي ، ولد في بادية البحرين ، تنقل في بقاع نجد ، واتصل بعمرو بن هند فجعله من ندمائه ، ثمّ أرسله بكتاب إلى المكعبر (عامله على البحرين وعمان) يأمره بقتله ، لأبيات بلغ الملك أنّ طرفة هجاه ، فقتله المكعبر وهو شاباً قيل : ابن عشرين ، وقيل ابن ست وعشرين . الأعلام ج ٣ ، ص ٢٢٥ .

[٢] ديوان طرفة بن العبد ، دار صادر ، بيروت ، ص ٢٣ .

أفخر بيت :

قال أحمد بن يحيى أفخر بيت قالته العرب قول امرئ القيس [١] :

ما ينكر النّاس منّا حين نملكهم
كانوا عبيداً وكنّا نحن أربابا [٢]

وقيل قول بشار بن برد [٣] حين يقول :

إذا ما غضبنا غضبة مضريّة
هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما
إذا ما أعرنا سيّداً من قبيلة
ذرا منبر صلّى علينا وسلّما [٤]

الفخر عند قبيلة كلب :

قبيلة كلب من أكبر قبائل قضاعة في الجاهلية والإسلام ، ونالت من المكانة ما لم تنله إحدى أخواتها من تلك القبائل فجعلها أبرهة [٥] بن الصباح ملك اليمن وتهامة من أقرب أتباعه ، وأمر زعيمها زهير بن جناب على تغلب

---

[١] هو : امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمر بن حجر ، الشاعر الجاهلي المشهور ، يعدّ من شعراء الطبقة الأولى عند ابن سلام . طبقات الشعراء ، ص ٢٥ .

[٢] ديوانه ، ص ٢٧٩ .

[٣] هو : أبو معاذ بشار بن برد بن يرجوخ البصيري الشاعر الضرير المشهور ، أصله من طخارستان ، توفي سنة ١٦٨هـ . وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٦٤ – ٢٦٧ .

[٤] ورد البيت في ديوان بشار (أو تمطر دما) شرح حسين حموي ، ط١ ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م ، دار الجيل ، بيروت ، ج ٢ ، ص ٤٩٧ .

[٥] هو : أبرهة بن الصباح الحميري ، من ملوك اليمن في الجاهليّة ، ولّي بعد حسان بن عمرو واستمرّ ٧٣ سنة ، كان جواداً عالماً . الأعلام ، ج١ ، ص ٨٢ .

وبكر وربيعة [١] وقد افتخر بذلك المسيّب [٢] بن الرفل بعد ذلك في الإسلام فقال :

وأبرهة الذي كان اصطفانا

وسوسنا وتاج الملك عالي

وقاسم نصف إمرته زهيراً

ولم يك دونه في الأمر والي

وأمرّه علي حيّ معدّ

يردّهما على رغم السبال [٣]

قد يكون الفخر بما تملكه القبيلة من ديار وأرض ، كما في قول ابن الطرامة الكلبي [٤] :

وإنّا لممدودون ما بين غرب

إلى شعب الريان مجداً وسؤددا [٥]

وقد يكون الفخر بكرم وبذل وسماحة القبيلة ، وكيف أنّها تعين أبناءها وغيرهم في النوائب ممّن يطلبون رفدها ، كما في أبيات مسعود بن بشر القريف الذي يمتزج فيها الفخر الفردي بالفخر القبلي :

إنّي امرؤ نبه وإنّ عشيرتي كرم

وإنّ سماءهم تستمطر

---

[١] الكامل في التاريخ ، ج ١ ، ص ٥٠٤ .

[٢] هو : المسيب بن الرفل بن حارثة بن جناب بن قيس بن امرئ القيس بن جابر بن زهير بن جناب . معجم الشعراء ، ص ٣٠٠ – ٣٠١ .

[٣] المرجع السابق ، والصفحة نفسها .

[٤] هو : المنذر بن حسان بن حارثة بن حوط بن صريم بن حارثة بن عامر بن ثعلبة ، يعرف بابن الطرامة ، وهي امرأة حضنت جدّه حارثة ، فنسب إليها ، كان أبوه حسان شاعراً . معجم الشعراء ، ص ٢٧٠ .

[٥] معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٠٧ .

حدبوا عليّ كما حدبت عليهم

فلئن فخرت بهم فنعم المفخر [١]

قد يمتزج الفخر بالحماسة كأن يكون متعلّقاً بانتصار في حرب أو قتل عدوّ جائر مخالف للحق ، نجد هذا النوع من الفخر في أبيات لثعلبة ابن عامر [٢] يفتخر بقتل داوود بن هبالة السليحي الذي كان ملك قضاعة ، فترك الحرب وتنصّر فقتله كلب :

نحن الألى أردت ظباة سيوفنا

داوود بين البرقتين فحارب

خطرت عليه رماحنا فتركنه

لمّا شرعن له كأمس الذاهب

وكذاك إنّا لا تزال رماحنا

تنفي العدا وتفيد رغب الراغب [٣]

منه أيضاً فخر المسيب بن الرفل الذي يفخر بقتل يزيد بن المهلّب الذي ناوء الخلافة الأموية وثار عليها ، فحاربه الأمويون وانتصروا عليه ، حيث قتله الفحل بن عياش الكلبي :

قتلنا يزيد بن المهلّب بعدما

تمنيتم أن يغلب الحقّ باطله

فما كان من أهل العراق منافق

عن الدّين إلاّ من قضاعة قاتله

---

[١] ذيل الأمالي والنوادر ، ص ١١٥ .

[٢] هو : ثعلبة بن عامر بن عوف بن بكر بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة . الديوان ، ص ١٣٣ .

[٣] المصدر السابق ، ص ١٣٤ .

تجلله فحل بأبيض صارم

حسام جلا عن شفرتيه صياقله [١]

من الفخر الفردي الذي يفخر فيه الشاعر معتدّاً بنفسه وأخلاقه وكرم أصله أبيات جواس ين القعطل :

أنا ما تعلمين يا ربّة الخدر

بفعل المهذبين خليق

طامح الطرف لا يدنّس عرضي

طمع في مدى الكرام رفيق [٢]

يصوّر زهير بن جناب سطوته وسطوة قبيلته وعزّها في قضاعة والعرب الذين سترعى من مرابعهم إبله وستمنعها قبائل قضاعة ، وهو في مرابعه مستريح متفرّغ للعبادة :

لقد علم القبائل أنّ ذكري

بعيد في قضاعة من نزار

فما إبلي بمقتدر عليها

ولا حلمي الأصيل بمستعار

ستمنعها الفوارس من بليّ

وتمنعها الفوارس من صحار

ويمنعها بنو القين بن جسر

إذا طال التجاول في المغار

بكل مناجذ جلد قواه

وأهيب عاكفون على الدّوار [٣]

---

[١] الأغاني : ج ١٩ ، ص ٢٩ .

[٢] معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٠٧ ، ج ٣ ، ص ٩٣ .

[٣] معجم ما استعجم ،ص ٣٠.ومعجم البلدان ،ج ٣، ص ٣٩٣ .وخزانة الأدب ،ص ١٥٠

يـأتي فخـر زهيـر ممتزجـاً بـين الفرديـة والقبليّـة ، فلفظـة ذكـري تعنـي مـا لمكانته في قبيلة كلب ، وما لمكانة قبيلة كلب في قضاعة من عزّ وشرف وما لقضاعة من عزّ بين قبائل العرب .

ومن الفخر الفردي بيت عمرو [١] بن عروة بن الفداء مفتخراً بما لديه من علـم بـأحوال قومـه ومـا لـه مـن عقـل راجـح يجعـل قـومه يـرجعون إليـه فـي خصوماتهم :

تباغت عديّ بينها وتناضلت

إليّ وأهل العلم قاض وحاكم [٢]

من الفخر القبلي أيضاً بيتا عمرو بن شراحيل [٣] حيث يفتخر بما لقبيلة كلب من مكانة عليا ومجد أصيل ومرتع خصيب :

تركت كعباً وكعب قائم ردن

كأنّه من جمال الريف مهشوم

يا كعب إنّا قديماً أهل سابقة

فينا السلام وفينا المجد والخيم [٤]

---

[١] هو : عمرو بن عروة بن العداء بن كعب بن بهوش بن عامر بن عنمة بن تيم الله بن عامر الأجداد . معجم الشعراء ، ص ٦٣ – ٦٤ .

[٢] المرجع السابق ، ص ٦٣ .

[٣] هو : عمرو بن شراحيل بن عبد العزّى بن امرئ القيس . معجم الشعراء ، ص ٦٣ .

[٤] المرجع السابق ، والصفحة نفسها .

ملاحظات حول الفخر عند قبيلة كلب :

الفخر عند قبيلة كلب نوعان :

١/ قبلي أو قومي وهو الشائع والأكثر وروداً ، يستعمل فيه الشاعر الألفاظ الدالة على المتكلّم بلسان قومه أو قبيلته ،كنحن ، وإنّا ، ورماحنا ، وقتلنا أو يتحدث الشاعر بجمع الغائب مثل ذوي أخطار وسماءهم وحدبوا .

٢/ فردي ، وهو قليل نسبيّاً .

ثانياً : الرثاء

الرثـاء مـن أهـم الموضـوعات التـي أطيلـت فيهـا القصـائد ، وفـي الشـعر العربي على اختلاف عصوره مراث تعدّ من أجمل وأفخم ما في الأدب العربي .

وقيل : أفضل الرثاء ، أبيات حسين بن مطير [١] يرثي معن بن زائدة [٢] :

فيا قبر معن كنت أول حفرة
من الأرض خطّت للسماحة مضجعا
ويا قبر معن كيف واريت جوده
وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت
ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
فتى عيش في معروفه بعد موته
كما كان بعد السيل مجراه مرتعا [٣]

---

[1] هو : الحسين بن مطير بن مكمل الأسدي ، مولى بني أسد بن خزيمة ، وابن مطير من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، فصيح متقدّم في الرجز والقصيد ، ويعدّ من فحول المحدثين . ينظر ، معجم الأدباء ، ج ٣ ، ص ١١٥٧ .

[2] هو : أبو الوليد عمرو بن قيس بن شراحيل بن همام بن مرّة الشيباني ، كان جواداً شجاعاً ممدوحاً مقصوداً . وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ٤٥٤ .

[3] العمدة ، ج ٢ ، ص ١٤٨ .

الرثاء عند قبيلة كلب :

يدور الرثاء في اتجاهات عدّة منها :

١/ المراثي التي يتحدّث فيها الشاعر عن الموت والحياة وفلسفة الفناء والبقاء وصروف الزمان ، وما يجري هذا المجرى كالإيمان بحتمية الموت في أي زمان ومكان ، نجد هذا النوع في أبيات زهير بن جناب الذي أوقع بالعرب مئتي وقعة [١] ولم يمت في واقعة منها ، بل مات أنفة من الذل حين عصاه ابن أخيه عبد الله بن عليم بن جناب :

جلح الدهر وانتحى لي وقدما

كأنّ ينحى القوي على أمثالي

يدرك التمسح المولع في اللجة

والعصم في رؤوس الجبال

وتصدّى ليصرع البطل الأروع

بين العلماء والسربال [٢]

هذا التسليم قد يكون مليئاً بالقلق والترقّب إذ لا يدري الإنسان متى يأتيه الموت أفي ساحة المعركة ، أم على الفراش ، كما في أبيات لزهير نفسه :

ليت شعري والدهر ذو حدثان

أي حين منيتي تلقاني

أسبات على الفراش خفات

أم بكفّي مضجع حرّان [٣]

---

(1) المحبر ، ص ٤٧١ .

(2) المرجع السابق ، ٤٧١.

(3) المعمرون ، ص ٣٥ .

وكانت نهايته شرب الخمر حتى الموت لما خالفه ابن أخيه وله حديث في هذا حيث قال : " عدّو الرجل ابن أخيه ، غير أنّه لا يدع قاتل عمّه " [١] .

٢/ البكاء والحزن على الفقيد والتوجّع عليه وإبداء الألم الشديد لفقده ، وذكر محاسنه والخصال التي يتمتّع بها ، نجد هذا النوع من المراثي في أبيات جبلة بن الحارث [٢] يرثي مسعود بن شداد الذي قتله الأسود بن عامر بن جوين [٣] الجرمي الطائي :

يا عين بكّي لمسعود بن شداد
بكاء ذي عبرات شجوه بادي
من لا يذاب له شحم السديف ولا
يجفو الضيوف إذا ما ضنّ بالزاد
ولا يحل إذا ما حلّ منتبذاً
خوف الرزيّة بين الحضر والبادي
قوّال محكمة نقاض مبرمة
فتّاح مغلبة فكّاك أقياد
حمّال ألوية شداد أنجية
سداد أوهية فتاح أسداد
جمّاع كل خصال الخير قد علموا
زين القرين ونكل الظالم العادي [٤]

---

(1) المحبر ، ص ٤٧١ .

(2) هو : جبلة بن الحارث بن أبّان بن جذيمة بن عمرو بن كاهل بن أسلم بن تدول بن تيم اللات بن رفيدة . الديوان ، ص ١٣٤ .

(3) المرجع السابق ، والصفحة نفسها .

(4) أمالي القالي ، أبو علي القالي ، ط٢ ، دار الجيل ، ودار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٧م ج ٢ ، ص ٣٢٣ – ٣٢٥ .

٣/ الإيمان بالقدر وتصرفه فيهم ، وأنّهم مسيرون كما يريد لهم الخالق ، وليس لهم إلاّ التسليم بذلك ، نجد هذا النوع من الرثاء في أبيات عدي بن غطيف [١] :

أهلكنا الليل والنهار معاً

والدهر يعدو على الفتى جذعا

والشمس في رأس فلكة نصبت

رفعها في السماء من رفعا

أمر بليط السماء مكتتم

والناس في الأرض فرّقوا شيعا

كما سطا بالأرام عاد وبالحجر

وأركى لتبع تبعا

فليس مما أصابني عجب

إن كنت شيباً أصبت أو صلعا [٢]

ومنه أيضاً أبيات عبد مالك بن النعمان [٣] الذي يسلم بقدر الله على بسط السماوات السبع ، وأخذ أرواح البشر متى شاء ، وهو تسليم يحمل استعطافاً خفيّاً للرحمة :

يا ربّ أنت على الأنام مسلّط

لو شئت أضحوا هامدين جمودا

---

[1]هو : عدي بن غطيف بن تويل بن عدي بن جناب ، معجم الشعراء ، ص ٨٥ .

[2]الحيوان ، عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط٣ ، المجمع العلمي العربي الإسلامي ، بيروت ، ١٩٦٩م ، ج٧ ، ص ٢٥٦ – ٢٥٧ .

[3]هو : عبد الملك بن النعمان بن امرئ القيس بن حارثة بن عامر بن عوف بن عامر الأكبر ، الديوان ، ص ١٧٩ .

والسبع ربّي لو تشاء طويتها

طي التجار بحضرموت برودا [1]

٤/ من الاعتقادات التي كانت سائدة عندهم أنّ الإنسان إذا قتل وثئر له يرتاح في قبره ، وينام وادعاً ، وإذا لم يثأر له فإنّ هامة تظهر من لحده وتصيح طالبة السقيا ، ولا ترتاح إلاّ إذا ثئر له ، نجد هذا النوع من الرثاء في أبيات لجبلة بن الحارث الذي يأسف لأنّ قومه لم يثأروا لمسعود بن شداد ، الذي قتله بنو جرم الطائيون ، ثمّ يلوم بني جرم ، لأنّهم لم يسقوه قبل قتله ، بل قتلوه والعطش قد بلغ منه الجهد :

أبا زرارة لا تبعد فكل فتى

يوماً رهين صفيحات وأعواد

هلا سقيتم بني جرم أسيركم

نفسي فداؤك من ذي كربة صادي

نعم الفتى ويمين الله قد علموا

يخلوا به الحيّ أو يغدو به الغادي

الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها

مثعنجر بعدما تغلي بإزباد

ويترك القرن مصفراً أنامله

كأنّ أثوابه مجّت بفرصاد

والسابئ الزقّ للأصحاب إذ نزلوا

إلى ذراه وغيث المحوج الجادي

لاه ابن عمّك لا أنساك من رجل

حتّى يجيء من القبر ابن ميّاد

---

[1] الديوان ، ص ١٧٩ .

إنّي وإيّاهم حتّى نصيب به

منهم أخا ثقة في ثوب حدّاد [١]

٥/ التأبين هو مدح الشخص بعد وفاته والثناء عليه ، وتعداد صفاته الطيّبة ، وهو شبيه بالمدح إلاّ أنّ الممدوح هنا ميّت ، ومن هذا النوع أبيات جواس ابن القعطل يرثي نفراً من قومه :

بكيّ على قتلى القبور فإنّهم

طالت إقامتهم ببطن برام

كانوا على الأعداء نار حفيظة

ولقومهم حرماً من الأحرام

لا تهلكي جزعاً فإنّي واثق

بسيوفنا وعواقب الأيام [٢]

ومنه أيضاً بيتا نائلة بنت الفرافضة في رثاء زوجها عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، واصفة إيّاه بالكرم والجود :

ومالي لا أبكي وتبكي قرابتي

وقد غيبت عنا فضول أبي عمرو

إذا جئته يوماً ترجي نواله

بدت لك سيماه بأبيض كالبدر [٣]

٦/ الإيمان بالبعث (يوم الحساب) عقيدة راسخة عندهم ، إلاّ أنّهم زعموا أنّ التعب الذي يلاقيه الناس عند تدافعهم للحساب والجزاء يحتاج إلى راحلة ، لذلك

---

(1) أمالي القالي ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ – ٣٢٥ .

(2) حماسة أبي تمام ، مختصر شرح التبريزي ، تعليق محمّد عبد المنعم خفاجي ، مطبعة محمّد علي صبيح ، الأزهر الشريف ، ج١ ص ٤١٧ .

(3) أعلام النساء ، ج ٥ ، ص ١٤٧ .

رأوا أن يدفن إلى جانب الميت راحلته ، كي يمتطيها إلى دار الجزاء حتّى لا يشعر بالتعب ، من ذلك أبيات عمرو بن زيد المتمنّي [١] :

ابني زودني إذا فارقتني
في القبر راحلة برحل قاتر
للبعث أركبها إذا قيل اظعنوا
مسوسقين معاً لحشر الحاشر
من لا يوافيه على عيرانه
والخلق بين مدفع أو عاشر [٢]

---

[1] هو : عمرو بن زيد بن المتمني بن عبد الله بن الشجب من بني عبود ، من رؤساء كلب في زمانه ، معجم الشعراء ، ص ٦٤ . والمحبر ، ص ٣٢٤ .

[2] المحبر ، ص ٣٢٤ .

الفصل الثالث

الغزل والهجاء

أولاً : الغزل

الغـزل والنسـيب والتشـبيب كلهـا بمعنـى واحـد ، يقـول ابـن رشـيق : " النسيب والتغزّل والتشبيب كلّها بمعنى واحد ، أمّا الغزل فهو إلف النساء والتخلّق بما يوافقهنّ ، وليس ممّا ذكرته في شيء فمن جعله بمعنى التغزّل فقد أخطأ ، وقد نبّه على ذلك قدامة وأوضحه في كتابه نقد الشعر " (١)

يقول ابن رشيق في النسيب : " حقّ النسيب انْ يكون حلو الألفاظ رسلها قريب المعاني سهلها ، غير كزّ ولا غامض ، وأن يختار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى ليّن الإيثار ، رطب المكسر ، شفّاف الجوهر ، يطرب الحزين ، ويستخف الرصين " (٢) .

والغزل أو النسيب أو التشبيب عادة يكون في مقدمة القصيدة ، وتتحدث عن ذكر الأحباب أو ديارهم أو أطلال منازلهم ، وقد ألف الشعراء في هذا حتّى أصبحت الكثرة العظمى من القصائد العربيّة مفتتحة بالنسيب ، وكثير من الشعراء لم يقولوا شعراً في النسيب إلاّ في مقدماتهم ، أي ليس لهم نسيب قائم بذاته ، وقد حاول المتنبئ (٣) أن ينقذ هذا المذهب ، فقال في مطلع قصيدة له يمدح فيها سيف الدولة ويصف جيشه :

إذا كان مدح فالنسيب المقدّم

---

(1) العمدة ، ج ٢ ، ص ١١٧ .

(2) المرجع السابق ، ، ج ٢ ، ص ١١٦ .

(3) هو : أبو الطيّب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجخفي الكندي الكوفي المعروف بالمتنبئ ، الشاعر المشهور ، ولد بكندة بالكوفة سنة ٣٠٣هـ ، وتوفي سنة ٣٥٤هـ . سير أعلام النبلاء ، تحقيق علي شعيب الأرنؤوط وآخرون ، ج ١٦ص ١٩٩ – ٢٠١ .

أكل بليغ قال شعراً متيّم [١]

إذا عرفنا أن الغالب الأعم من القصائد العربيّة مفتتحة بالنسيب أو الغزل ، يصبح السؤال ، لماذا يفتتح الشاعر الجاهلي قصيدته بالغزل ؟

قال ابن قتيبة [٢] : " سمعت بعض أهل الأدب يذكر أنّ مقصّد القصيد إنّما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار ، فبكى ، وشكا ، وخاطب الربع ، واستوقف الرفيق ؛ ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها " [٣] .

هناك أسباب كثيرة جعلت الشاعر الجاهلي ومن سار على نهجه يبتدئ قصيدته بالغزل فمن تلك الأسباب :

١/ إنّ الشاعر يريد أن ينبّه المتلقّي أو السامع إلى ما سيكون عليه ، وأن يستلين قلبه ؛ لأنّ الغزل أقرب الفنون إلى النفوس وأعلقها . يقول بن رشيق في ذلك : " لأنّ التشبيب قريباً من النفوس لائط بالقلوب لما جعل الله في تركيب العباد من محبّة الغزل ، وعفّ النساء ، فليس يكاد أحد من أن يكون متعلّقاً منه بسبب أو ضارباً فيه بسهم حلال أو حرام " [٤] .

٢/ إنّ الشاعر يريد أن يهيء نفسه بذكر الغزل ، ويستنزل عاطفته وانفعاله ، وفي هذا جاء أنّ ذا الرّمة سئل كيف تفعل إذا انغلق دونك باب الشعر . قال : كيف ينغلق دوني وعندي مفاتحه ، قيل عنه سألناك ما هو ؟ قال : الخلوة بذكر

---

(1) ديوان أبي الطيب المتنبئ بشرح أبي البقاء العكبري المسمّى بالتبيان في شرح الديوان ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه ، مصطفى السقّا ، وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ج ٣ ، ص ٣٥٠ .

(٢) هو : أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، الدينوري ، من أئمّة الأدب ، ومن المصنفين ، ولد ببغداد ، وسكن الكوفة ، ولي قضاء الدينور مدّة ، من مؤلفاته (تأويل مختلف الحديث) ، (أدب الكاتب) ، (الشعر والشعراء) ، توفي ببغداد . الأعلام ، ج ٤ ، ص ١٣٧ .

(3) الشعر والشعراء ، ج ١ ، ص ٧٤ .

(4) العمدة ، ج ١ ، ص ٢٠٦ .

الأحباب ، يعلّق ابن رشيق قائلاً : هذا لأنّه عاشق ، لعمري إنّه إذا انفتح للشاعر نسيب القصيدة فقد ولج من الباب ووضع رجله في الركاب " [١] .

وللشعراء في الغزل مسالك ثلاثة :

١/ مسلك حسي : وهو التغزّل بذكر محاسن المرأة الجسدية وأعضائها ، كوصف خصر المرأة أو عينها أو جيدها أو ما يبدو محسوساً من أعضائها ، ومن أمثلة هذا النوع من الغزل ، قول كعب بن زهير [٢] :

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة

لا يشتكى قصر منها ولا طول [٣]

٢/ مسلك معنوي : وهو الذي يتحدّث فيه الشاعر عن الجانب الأخلاقي للمرأة من حيث الخفر والعفّة والطهر ، ومنه أبيات قيس بن الخطيم [٤] :

بين شكول النساء خلقتها

قصد لا جبلة ولا قضف

تغترف الطرف وهي لاهية

كأنما شفّ وجهها نزف

قضى لها الله حين صوّرها الـ

---

(1) العمدة ، ج ١ ، ص ٢٠٦ .

(2) هو : أبو عقبة كعب بن زهير بن أبي سلمى ، كان شاعراً فحلاً ، أهدر النبي ﷺ دمه لأبيات قالها ثمّ أتى النبي مسلماً . معجم الشعراء ، ص ٣٣٠ .

(3) ديوان كعب بن زهير ، صنعة الإمام أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري ، نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب ، ١٣٦٩هـ – ١٩٥٠م ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ص ٦ – ٧ .

(4) هو قيس الخطيم بن عدي بن عمرو بن سواد بن ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن أوس بن حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو بن عامر ماء السماء بن حارثة بن الغطريف ، شاعر الأوس بينه وبين حسان بن ثابت منافسات ، قدم مكّة فدعاه النبي ﷺ إلى الإسلام ، فتلى عليه القرآن فقال : إنّي لأسمع كلاماً عجباً فدعني أنظر في أمري هذه السنة ثمّ أعود إليك فمات قبل الحول ، الإصابة ، ج ٥ ، ص ٢٨٨ .

خالق أنْ لا يكنّها سدف

تنام عن كبر شأنها فإذا

قامت رويداً تكاد تنغرف

تمشي كمشي الزهراء في دمث الـ

رمل إلى السهل دونه الجرف

ولا يغثّ الحديث ما نطقت

وهو بفيها ذو لذّة طرف

تخزنه وهو مشتهىً حسن

وهو إذا ما تكلمت أنف

كأنّها درّة أحاط بها الـ

غواص يجلو عن وجهها صدف

يا رب لا تبعدن ديار بني

عذرة حيث انصرفت وانصرفوا [١]

٣/ مسلك يتحدّث فيه الشاعر عما يلقاه العاشق المحب من شوق ووجد وهيام وما يعانيه من ألم الفراق ولوعة البعاد ، وكيف يسهر يرقب النجوم ، ويعنى بخيال الحبيبة ، ويمني نفسه بزورة من طيفها ، وهو سهتران متأمل طول الليل ، وثبات النجوم أرقاً مطّرباً لما يلقاه من حبّ عنيف إذ يخبل العقل ويذهب به . وخير مثال لهذا النوع ، أبيات سويد بن أبي كاهل اليشكري [١] :

---

[١] الأصمعيات اختيار الأصمعي ، أبي سعيد بن عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر ، و عبد السلام محمد هارون ، ط٣ ، دار المعارف ، مصر ، ص ١٩٦ .

هيّج الشوق خيال زائر
من حبيب خفر فيه فدع
شاحط جاز إلى أرحلنا
عصب الغاب طروقاً لم يرع
آنس كان إذا ما اعتادني
حال دون النوم منّي فامتنع
وكذاك الحب ما أشجعه
يركب الهول ويعصي من وزع
فأبيت الليل ما أرقده
وبعينيّ إذا نجم طلع
وإذا ما قلت ليل قد مضى
عطف الأول منه فرجع
يسحب الليل نجوماً ظلّعاً
فتواليها بطيئات التبع
ويزجيها على إبطائها
معرب اللون إذا اللون انقشع (٢)

(1) هو : سويد بن غطيف ، من بني يشكر ، الشاعر ، ينظر : الشعر والشعراء ، ج ١ ، ص ٤٢١ .

(2) المفضليات ، المفضل بن محمّد الضبي ، تحقيق أحمد محمّد شاكر ، وعبد السلام محمّد هارون ، دار المعارف ، ١٩٨٣م ، ص ٣٨١ .

الغزل عند شعراء قبيلة كلب :

المسلك الأول من الغزل ، أي الحسي لا نكاد نجده عند شعراء قبيلة كلب ، أمّا المسلك الثاني ، فنجد له نماذج منها : أبيات عرفجة بن جنادة [١] الذي اتخذ من البكاء على الطلل مدخلاً لتذكّر أيام الأحبّة التي ارتبطت بذكريات تلك المرابع ، وما علق في ذاكرته من ثنايا رقيقة ووجوه ذات عيون فاترة :

عفا أبرق العزاف من أم جابر

فمنعرج الوادي عفا فحفير

فروض شوير عن يمين روية

كأن لم تربعه أوانس حور

رقاق الثنايا والوجوه كأنّما

ظباء الفلا في لحظهنّ فتور [٢]

منه أيضاً أبيات المنذر بن درهم [٣] الذي يغلبه الشوق لديار محبوبته فيدعوا لها بالسقيا ، ويتعجّب من الحبّ الذي ملأ جوانحه ، فيتمنّى أن يكون كلباً لأهلها حتّى يتثنّى له رؤيتها كل يوم وحين . ويمنّي نفسه برؤيتها لكن الخوف على نفسه يردعه من ذلك ، ثمّ يذكر آخر عهد بها حين التقيا وسلّم عليها :

سقى روضة المثرى عنّا وأهلها

ركام سرى من آخر الليل رداف

---

(1) هو : عرفجة بن جنادة بن أبي بن النعمان بن زهير بن جناب . الأغاني ، ج ١٩ ، ص ٢٨

(2) المرجع السابق ، ج ١٩ ، ص ٢٨ .

(3) هو : المنذر بن درهم بن أنيس بن جندل بن نهشل بن عدي بن جناب . معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٨٩ .

أمن حبّ أم الأشيمين وذكرها

فؤادك معمود له أو مقارف

تمنيتها حتى تمنيت أن أرى

من الوجد كلباً للوكيعين آلف

أقول ومالي حاجة في ترددي

سواها بأهل الروض هل أنت عاطف

وأحدث عهد من أميّة نظرة

على جانب العليا إذا أنا واقف

تقول : حنان ما أتى بك ها هنا

أذو نسب أم أنت بالحيّ عارف

فقلت : انا ذو حاجة ومسلّم

فصمّ علينا المأزق المتضايف (١)

من المسلك الثالث : أبيات حفص العليمي (٢) الذي يذكر فيها حياة الحب والغرام التي عاشها راحلاً بين نجد وغور تهامة ، ولصعوبة اللقاء بها يدعو الله عزّ وجلّ أن يقبض روح محبوبته (قذور) كي لا يتمتّع بوصلها غيره إن لم ينلها ، وعمّم الشاعر الدعاء ألا يجمع الله كل حبيبين إن لم يجمعه بها :

أقول لحلمي لا تزعني عن الصبا

وللشيب لا تذعر عليّ الغوانيا

طلبت الهوى الغوري حتى بلغته

وسيّرت في نجديه ما كفانيا

فيا ربّ إن لم تقضها لي فلا تدع

---

(1) خزانة الأدب ، ج ٢ ، ص ١١٣ – ١١٤ .

(2) ربما كان : أبو حفص بن حبيب الملقّب بذي الأصبع . حماسة أبي تمام ، ج ٢ ، ص ٧٧

قذور لهم واقبض قذور كما هيا

ويا ليت أنّه الله إن لم ألاقها

قضى بين كل اثنين ألاّ تلاقيا (١)

ويتجه جماهر بن الحكيم الكلبي (٢) اتجاهاً عذريّاً في حبّه الذي يخفيه عن العذال والواشين الذين يظهر لهم أنّه يمقت ديار محبوبته إمعاناً في إخفاء حبّه ، وتبدو عليه علامات الوهن والمرض إذا سمع من يتغنّى باسم محبوبته ظريفة ، إلاّ أنّه لا يرى بداً من الوصال إلى ديارها مهما كلّفه الأمر :

قضى كل ذي دين فوفّى غريمه

ودينك عند الزاهريّة ما يقضى

أكاتم في حبّي ظريفة بالّتي

إذا استبصر الواشون ظنّوا به بغضا

صدوداً عن الحيّ الذين اودّهم

كأنّي عدوّ لا يطور لهم أرضا

ولم يدع باسم الزاهريّة ذاكر

على آلة إلاّ ظللنا لها مرضى

وما نقع الهيمان بالشرب بعدهم

ولا ذاقت العينان مذ فارقوا غمضا

ولا وصل إلاّ أن تقرّب بيننا

غريرية تشكو الأخشّة والغرضا (٣)

---

(1) حماسة أبي تمام ، ج ٢ ، ص ٧٧ .

(2) هو : جماهر بن الحكيم الكلبي ، ذيل الأمالي والنوادر ، ص ١١٦ .

(3) المرجع السابق ، والصفحة نفسها .

ثانياً : الهجاء

الهجاء من الأبواب القديمة في الشعر العربي ، كان في الجاهليّة وصدر الإسلام يقصد به الحط من قبيلة أو عشيرة ، وقلّما كان يقصد به تحقير فرد . فالشاعر يبذل جهده في أن يرفع شأن قبيلته ، ويحط من شأن قبيلة أعدائه ، فجرير إذا أراد أن يهجو الأخطل [١] لا يلبث أن ينتقل إلى هجاء قبيلة تغلب ، وكذا الحال للفرزدق إذا أراد أن يهجو جريراً ، لا يلبث أن ينتقل إلى هجاء قبيلة بني كليب التي أنجبت جريراً .

أهجى بيت :

قال ابن رشيق : " يقال إن أهجى بيت قاله شاعر ، قول الأخطل عن بني يربوع رهط جرير :

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم

قالوا لأمهم بولي على النّار [٢]

دخل شعراء قبيلة كلب في مهاجات مع بعضهم بعضاً ، أو مع بعض شعراء القبائل الأخرى . والمعارك الكثيرة التي خاضتها قبيلة كلب ، نتج عنها انتصارات وهزائم ، وتركت مرارات . فالعطّاف بن أبي شعفرة [٣] يقرّع بني عذرة أولاد عمومة كلب - بعد أنْ هزمتهم فزارة يوم رحرح ، إذ قتل يومها بعض بني عذرة ة، لكنها لم تثأر لقتلاها ممّا دعى العطّاف إلى قول هذا الشعر ، حيث

---

[١] هو : أبو مالك غياث بن غوث بن الصلت ، الملقّب بالأخطل ، الأغاني ، ج ٨،ص ٢٩٠

[٢] العمدة ، ج ٢ ، ص ١٧٥ ، والبيت في ديوان الأخطل ، تصنيف إيليا سليم الحاوي ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، وبعده :

فتمسك البول بخلاً أن تجود به

فما تبول لهم إلاّ بمقدار

[٣] هو : العطّاف بن أبي شعفرة من بني أبي سود زيد بن رفيدة ، معجم الشعراء ، ص ١٦٠

يصفهم بالإماء المؤجرات اللواتي لا حول لهنّ ولا قوّة ، بل يرميهم بأكل تمر بلادهم ، والقبول بالذّل ، لأنّهم لو كانت فيهم حمية لمنعوا عنهم كلّ لذة حتى يدركوا ثأرهم :

أعذر بني سعد لا يزال عليكم
برحرح يوم من فزارة ناصر
فإن أنتم لم تثأروا بأخيكم
فكونوا إماء تبتغي من تؤاجر
كلوا عجوة الوادي فإن بلائكم
قليل إذا ما كان يوم قماطر
رمى الله في أكبادكم إن نجت لها
فزارة لم يثأر لها سويد وعامر
ولا تغضبوا مما أقول فإنّما
أنفت لكم مما يقول المعاشر [١]

يعيّر مسروح [٢] بن أدهم النابغة الذبياني بأمّه التي ماتت جوعاً ، وبجنبه عند ملاقاة فوارس كلب الأشداء ، بل يشبهه بالخنزير الذي رأى قدر الماء المغلي كي يسلق فيها فكره ذلك وحاول الفرار :

يا لهف أمّك لا تلهف غيرها
تلك التي هلكت ببطن حمار
ولقد لقيت فوارساً من قومنا
غنظوك غنظ جرادة العيّار

---

[١] حماسة البحتري ، ص ٢٩ . وطبقات فحول الشعراء ، ١٩ .

[٢] هو : مسروح بن أدهم ، من بني عامر بن بكر بن عامر الأكبر . الأصنام ، ص ٣٠ . ومجمع الأمثال ، ج ٢ ، ص ٦١ - ٦٢ .

ولقد رأيت مكانهم فكرهتهم

ككراهة الخنزير للإيغار [١]

ويهجو الجواس بن القعطل رجلاً يدعى أبا القعقاع ، ويسخر منه بما يعد مدحاً أول الأمر ، لكنّه هجاء ، فيرى فيه رجلاً لئيماً كثير الفحش قليل الندى والكرم ، سريعاً إلى قول السوء ، وهو زجر عن هذه الصفات الذميمة إلاّ أنّه يغافل الناس فيعود إليها كأنّما أدمنها :

رأيت أبا القعقاع لا يكره الخنا

ولكنّه يسري إليه فيسرع

يحسّر رأساً لا يقنّع للخنا

ولكنّه للمكرمات يقنع

ولا خير فيه غير أن سوامه

يعنّى الذي يرجو نداه ويخدع [٢]

يهجو جواس بن القعطل رجلاً يدعى حميد بن حريث [٣] ، بالقذارة ووسخ الثياب مشبّهاً إياه بالطبّاخ الذي ألهاه صنع الطعام عن نظافة ثيابه التي سوّدها الدّخان والودك ، ويزيده هجاء حيث شبهه بالجعل الذي يألف الكنائف ويحلو له العيش فيها ، ويشبهه في اللؤم والبخل وقلّة التدبير ، بالوبر ، تلك الدويبة التي يصيدها الصيادون دون أنْ تجد حيلة لتهرب منهم :

هل يهلكني - لا أبا لكم -

دنس الثياب كطابخ القدر

جعل تمطى في عمايته

زمر المروءة ناقص الشّبر

---

(١) الأبيات في : جمهرة اللغة ، ص ٦١١ .

(٢) الديوان ، ص ٢٣١ .

(٣)هو:حميد بن حريث بن بحدل بن قتادة بن عدي بن حارثة ، خزانة الأدب ، ج ٥، ص٢٧٤

لزبالة سوداء حنظلة

والعاجز التدبير كالوبر [1]

وجواس بن القعطل يهجو بني قنافة - رهط آل بحدل ، مشبّهاً إيّاهم بالقرود قد عثن الدخان لحالهم باللون الأسود الكالح من الإرهاق البادي على وجوههم لسفرهم ، هذه الصورة أعطت هؤلاء شكلاً قبيحاً ، فهم كالقرود :

أتتك العيس تنفخ في براها

بوفد من قناعة كالقرود

إذا النيتون عثن في لحاهم

فليسوا بالغضارفة الأسود [2]

---

[1] الحيوان ، ج ٣ ، ص ٥٠٩ .

[2] ديوان جرير : ص ٢٩٤ .

الفصل الرابع
الحنين والحكمة
أولاً : الحنين

شعر الحنين من أصدق ما قاله العرب ، لما يفيض من صبابة ، وحزن ورقّة ، وقد ظهر الحنين في شعر قبيلة كلب نتيجة عوامل كثيرة منها انتقال أفراد هذه القبيلة من باديتهم في السماوة أو سوريا ، أو دومة الجندل ، إلى مراكز الحضارة والمدنيّة للإسلام ، أو للزواج ، أو لنزوح قهري ، كما حدث بعد الفتنة بين قبيلة كلب وقبيلة قيس .

يقارن شريح بن جواس [١] بين حياة البادية الصافية الطليقة ، وبين حياة الحضر التي لا يجد فيها راحة حيث المزارع والبعوض وقيود العمل ويبيّن شوقه لتلك الحياة الجميلة في البادية :

لبيت بنجد لم يبتن نواظر
لزرع ولم يدرج عليهن جرجس
أحبّ إلينا من سواكن قرية
مثلجة دأياتها تتكدّس [٢]

كما تغنّوا بالواحات والرياض المنتشرة التي سكنوها لما تمتلئ به من ربوع خضراء ومناظر خلابة ، كما في أبيات عمرو بن العداء [٣] الذي يذكر دياره بكثير من الحبّ :

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة
بإنبط أو بالرّوض شرقي واحد

---

[١] هو : شريح بن جواس بن سويد بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب . الديوان ، ص ٢٧١ .

(٢) لسان العرب ، مادة (جرجس) .

[٣] هو : عمرو بن العداء بن كعب بن بهوش بن عامر بن عنمة بن تيم الله بن عامر الأجداد ، معجم الشعراء ، ص ٦٣ .

بمنزلة جاد الربيع رياضها

قصير بها ليل العذارى الرواقد

وحيث ترى الجرد الجياد صوافنا

يقودها غلماننا بالقلائد

أمّا ميسون بنت بحدل فقد اتّخذت المقارنة سبيلاً لإبراز ما لحياة البادية من صفاء وطيب عيش لا يوجدان في حياة الحضر ، فالعناصر التي تتشكّل منها الحياة البسيطة في البادية من خيمة تمرّ الرياح خلالها وأصوات الريح ورغاء الإبل ونبح الكلب للضيفان ، والعباءة الخشنة التي ترتديها لتقيها القرّ وكسرة الخبز اليابسة أفضل عندها عيشاً من الأرغفة اللينة ، ومن القطط التي تنام على أحضان بنات القصور ، والشفوف الناعمة التي تنسي نعومتها حلاوة البداوة ، فالشاعرة فقدت تلك الحياة الهانئة بزواجها من معاوية بن أبي سفيان الذي حملها من باديتها السماوة إلى دمشق حيث قصور الوالي :

لبيت تخفق الأرواح فيه

أحبّ إليّ من قصر منيف

وأصوات الرياح بكل فجّ

أحبّ إليّ من نقر الدفوف

وبكر يتبع الأظعان صعب

أحبّ إليّ من بغل زفوف

وكلب ينبح الطرّاق عنّي

أحبّ إليّ من قطّ ألوف

ولبس عباءة وتقرّ عيني

أحبّ إليّ من لبس الشفوف

وأكل كسيرة في قعر بيتي

أحبّ إليّ من أكل الرغيف

وخرق من بني عمّي نحيف

أحبّ إليّ من علج عليف

خشونة عيشتي في البدو أشتهي

إلي نفسي من العيش الظريف

فما أبغي سوى وطني بديلاً

فحسبي ذاك من وطن شريف (١)

منه أيضاً قول نائلة بنت الفرافصة التي تزوجها عثمان بن عفّان ﷺ وحملت إليه من بادية السماوة إلى المدينة ، فأحسّت بالغربة وهي تفارق أبويها ، وتعلم أنّه فراق تتخلله لقاءات قليلة ، فتخاطب أخاها ضبّاً وتسأله من أنّ ما تعيشه من مشاعر الغربة حقيقة أم حلماً ، فتمنّت أن تكون زوجة لأحد فتيان قومها البائسين على أن تكون زوجة للخليفة كي لا تقاسي متاعب الغربة فكلّما قطع الرّكب الذي تسير فيه مرحلة زاد حنينها وتأمّلها :

ألست ترى بالله يا ضبّ أنّني

مصاحبة نحو المدينة أركبا

إذا قطعوا حزناً تخبّ ركابهم

كما زعزعت ريح يراعاً مثقّبا

أريد أمير المؤمنين أخا التّقى

وخير قريش منصباً ثمّ مركبا

---

(١) خزانة الأدب ، ج ٨ ، ص ٥٠٣ - ٥٠٤ ، الأبيات في : الحماسة الشجرية ، هبة الله علي بن الشجري ، تحقيق عبد المعين الملوحي ، وأسماء الحمصي ، وزارة الثقافة ، دمشق ، سنة ١٩٧٠م ، ج ٢ ، ص ٥٧٣ . ولسان العرب ، مادة (مسن) .

لقد كان في فتيان حصن بن ضمضم

وجدّك ما يغني الخباء المطنّبا

أبى الله إلاّ أنْ تكوني غريبة

بيثرب لا تلقين أمّاً ولا أبا [١]

خرج القعقاع بن درماء من قبيلة كلب مغاضباً بعد أن لطمه امرؤ القيس بن عدي ، فنزل على أنيف بن مسعود الطائي ، إلاّ أنّ الحنين كان يستأثر به فيذكر تلك الظعائن التي تعوّد أن يراها في ديار قومه خارجة منها ويتساءل إنْ كان سيراها هنا - وهو على علم أنّها لن تأتي ؛ لكنّه يصبّر نفسه على البعد عن قومه بإحياء الأمل الذي يلازمه :

تبصّر يا ابن مسعود بن قيس

بعينك هل ترى ظعن القطين

خرجن من الغمار مشرقات

تميل بهنّ أزواج العهون

بذمّك يا امرأ القيس استقلت

رعان غوارب الجبلين دوني [٢]

النماذج التي ذكرناها للحنين كلها كانت تدور حول الحنين إلى الأوطان والديار ، وهنالك نوع آخر من الحنين تتضح فيه لوعة الفقد وحرارة عاطفة الأبوّة أو الأمومة ، حيث نجد هذا النوع من الحنين في أبيات لحارثة بن شراحيل ، والد الصحابي الجليل زيد بن حارثة ﷺ عند فقده لزيد وهو صغير بعد أن اختطفته خيل بني الفين وباعته بمكّة ، وخفى خبره عن أبيه الذي توجّع لفقده كثيراً ، ويتمنّى أنْ يعلم إن كان حيّاً أو ميّتاً كي ترتاح نفسه وحسبه بذلك نظرة قبل أنْ يموت ، فكلّما طلعت عليه الشمس ولم يره تأوّه ، وكلّما هبّت عليه نسمة

---

[١] الأبيات : ١ ، ٢ ،٤ ، وردت في الأغاني ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٤٣٠ .

[٢] الأبيات في : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٠٩ .

، ولم يره توجّع كثيراً ، غير أنّه متمسّك بأمل العثور عليه ، وموقن بنهاية كل حي ، كما أنّه يوصي أبناءه وإخوته بالبحث عنه بعده ، وهذا يعطي الموقف حيويّة وديمومة ، فالأمل مستمر وإن توفّى صاحبه قائلاً :

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل
أحيّ يرجّى أم أتى دونه الأجل
فوالله ما أدري وإن كنت سائلاً
أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل
فيا ليت شعري هل لك الدّهر رجعة
فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها
وتعرض ذكراه إذا قارب الطفل
وإنْ هبّت الأرواح هيّجن ذكره
فيا طول ما حزني عليه ويا وجل
سأعمل نصّ العيس في الأرض جاهداً
ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل
حياتي أو تأتي عليّ منيّتي
وكلّ امرئ فان وإن غرّه الأمل
سأوصي به قيساً وعمراً كليهما
وأوصي يزيداً ثمّ من بعده جبل [١]

ومنه أيضاً أبيات لحارثة بن صخر عندما أسلم ابنة جناب ، وهاجر إلى المدينة ، فشعر حارثة بالشّوق إلى جناب هو وأمّه ، ويلوم ابنه الذي هاجر دون

---

[١] الأبيات في : أنساب الأشراف ، ج ١ ، ص ٤٩٧ ، والاستيعاب ، ص ٥٤٤ ، والإصابة ، ج ٢ ، ص ٥٩٢ .

أن يأبه بدموعه وشوقه ممّا جعله يذكر ذلك اليوم وكلّه ألم ثمّ يحاول أن تشاركه عناصر الطبيعة ، ويرى تغريد الحمام بسعادة حرماناً له من ابنه الذي بعد عنه بينما هو يقاسي ألم الوحدة :

تركت أباك بالأدوات كلاً
وأمّك كالعجول من الظراب
فلا وأبيك ما باليت وجدي
ولا حزني الشديد ولا اكتئابي
ولا دمعاً تجود به المآقي
ولا أسفاً عليك ولا انتحابي
فعمرك لا تلومني ولومي
جناباً حين أزمه بالذهاب
إذا هتف الحمام على غصون
جرت عبرات عيني بانسكاب
يذكرني الحمام صفي نفسي
جناباً من عذيري من جناب
أردت ثواب ربّك في فراقي
وقربي كان أقرب للثواب [1]

---

[1] الأبيات في : المعمرون ، ص ٧٢ – ٧٣ .

ثانياً : الحكمة

قيل الحكمة : قول رائع يتضمّن حكماً صحيحاً مسلّماً به ، قال تعالى: ﴿ **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ [١]

وقال النبي ﷺ : (الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها)[٢] وهي خلاصة تجربة الشيوخ الذين عركوا الحياة وعركتهم ، وكانت المثل العليا والأخلاق الحميدة مطلباً لشعراء قبيلة كلب كغيرهم ، فرأوا فيها صوناً لهم عن الدنايا والصغائر ، فاعتزوا بذلك وبحسن أخلاقهم التي لم يحيدوا عنها . وطبيعة أبيات الحكمة يزيد فيها عنصر العقل على عنصر العاطفة ، على عكس أبيات الغزل ، ولعلّ أجمل أبيات استوقفتني فيها أبيات لبشار بن برد :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن
برأي نصيح أو مشورة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة
فريش الحوافي قوّة للقوادم

وخلّ الهوينى للضعيف ولا تكن
نؤوماً فإن الحزم ليس بنائم

وأدن من الشورى الكتوم لسرّه
ولا تشهد الشورى امرأً غير كاتم

وما خير كفّ أمسك الغلّ أختها
وما خير سيف لم يؤيّد بقائم

فإنّك لا تستدرك الرأي بالمنى

---

[١] سورة البقرة ، الآية ٢٦٩ .

[٢] سنن الترمزي ، حديث رقم (٢٦٨٧) .

ولا تبلغ العليا بغير المكارم [١]

الحكمة عند شعراء قبيلة كلب :

يرى حارثة بن أوس في نفسه رجلاً كريماً يترفّع عن أكل الميتة التي لا يأكلها الناس إلاّ عند الحاجة ، ويعني به أنّه لا يمد يده إلى الحرام حين الشدّة ، بل هو وفيّ باق على وفائه ، وحسن خلاله ، لا يحيد عنها إلى أنْ يأتيه أجله :

لا آكل الميتة ما عمرّت

نفسي وإنْ أبرح إملاقي

والعقد لا أنقض منه القوى

حتى يواري القبر أطباقي [٢]

وينحى جواس بن القعطل منحى نبيلاً حين ينهى قومه عن الظلم الذي حرّمه الله على نفسه ، وجعله محرّماً لعباده كما جاء في الحديث القدسي (يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) [٣].

يرى جواس أنّ الظلم فيه أكل للحقوق مما يهيّج الشر بين الناس ، وتجرح الأبدان ، وقد يتفانى البشر بسبب نزوة ظلم في عقل مريض ، كما حدث في حرب البسوس بين بكر وتغلب ، وما حدث لغطفان في داحس والغبراء :

يا قومنا لا تظلمونا حقّنا

فالظلم أنكد غبّه مشؤوم

قد نال بالقصباء منه وائلاً

يوم أصمّ على الرجال غشوم

---

[١] ديوان بشار بن برد ، ج ٢ ، ص ٥٠٣ .

[٢] المحبر ، ص ٣٢٩ .

[٣] الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، تأليف الإمام زكي الدين ضبط وتعليق مصطفى محمّد عمارة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ج٢ ، ص ٤٧٥ .

وتهالكت غطفان فيه فدارها

موروثة وإناؤها مثلوم [١]

أمّا مالك بن جناب [٢] فيصف نفسه بخصلة حميدة أمر الله بها ، وهي عدم سماع الفاحش من القول ن قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا** ﴾ [٣] .

قال مالك :

أصمّ عن الخنا إنْ قيل يوماً

وفي غير الخنا ألفى سميعاً [٤]

من الحكمة التأنّي والتفكير والتحرّي في تصريف الأمور ، لأنّ العجلة قد تقود إلى خطأ في العمل كقول عفرس بن جبهة :

وأبغي صواب الظنّ وأعلم أنّه

إذا طاش ظنّ المرء طاشت مقادره [٥]

أمّا الهردان العليمي [٦] فيقدّم نصيحة لعامة النّاس بألاّ يثقوا بمن لا يعرفون إلاّ بعد تأكّد ، وذلك أنّه وثق بيزيد بن المهلّب الذي كان الهردان دليله إلى العراق حينما هرب من سجن عمر بن عبد العزيز ، فأخطأ به الطريق فضربه يزيد ، فقال الهردان :

وسوء ظنّي بالأخلاء إنني

---

[١] حماسة البحتري ، ص ١١٤ .

[٢] هو : مالك بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن قضاعة ، معجم الشعراء ، ص ٣٢٢ .

[٣] سورة الفرقان ، الآية ٧٢ .

[٤] معجم الشعراء ، ص ٢٥٨ ، وسمّي بالأصم لهذا البيت ، وليس به صمم .

[٥] حماسة البحتري ، ص ٢٥٥ .

[٦] هو : الهردان بن عمر العليمي ، شاعر شامي دمشقي ، كان دليل يزيد بن المهلّب عندما هرب من سجن عمر بن عبد العزيز ، معجم الشعراء ، ٤٧٠ .

وجدت يزيداً دون ما كان يزعم

فظنّ رويداً بالصديق ولا تكن

بما عنده مستيقناً سوف تعلم [(١)]

كما ذكرنا أن الحكمة خلاصة تجربة الشيوخ ، فالأخنف بن مليك [(٢)] يصوّر حاله وقد جعله الكبر قليل الحركة لا يتحرّك إلاّ بمساعدة غيره ، وقد ذهبت لدالته وطواهم الموت ، وبقي لا صديق له منهم يؤنسه :

هل لي من الكبر المبين طبيب

فأعود شاباً والشباب عجيب

ذهبوا وخلّفني المخلّف بعدهم

فكأنني فيمن بقيت غريب

ذهبت لداتي والشباب فليس لي

فيمن بقى في الغابرين ضريب

أسقى وألعب قاعداً في قبة

فمن أين يبلغني هناك لغوب

وإذا تكلّفت القيام لحاجة

عرضت فمشيي إن مشيت دبيب

وإذا نهضت إلى القيام بأربع

فأقوم أرعد للفؤاد وجيب [(٣)]

قد يعمّر الإنسان حتى يصل مرحلة لا يستطيع معها النهوض إلاّ بمساعدة الآخرين : قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ** ﴾

---

(١) معجم الشعراء ، ص ٤٧٠ .

(٢) هو : الأخنف بن مليك الكلبي ، حماسة البحتري ، ص ٢٠٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٠٦ .

[1] وصل امرؤ القيس بن الحمام [2] من العمر هذه المرحلة ، يصوّر وقع هذه المرحلة على قومه الذين عدّوه كالجنازة ، فيرى ذلك كالعار:

إنّ الكبير إذا طالت زمانته
فإنّما حمله جنازة عار
ومن يعش زمناً في أهله خرفاً
كلاً عليهم إذا حلوا وإن ساروا
يذمم مرارة عيش كان أوله
حلواً وللدهر إسرار وإمرار [3]

من المعمرين أيضاً حارثة بن العبيد [4] ، الذي عمّر دهراً طويلاً حتّى أدركه الإسلام وهو لا يعقل ، فتمنّى الموت لما هو فيه من أسى بعد أن ألقى عليه الدّهر حتى أصبح كالناقة المهزولة المتروكة التي لا تنفع قومها في الحرب ، ولا تصلح للنحر فتطعم الجائع والضيف :

ألا يا ليتني أنضيت عمري
وهل يجدي على اليوم ليتي
حنتني حانيات الدهر حتّى
بقيت رزيّة في قعر بيتي

---

[1] سورة يس ، الآية ٦٨ .

[2] هو امرؤ القيس بن عبيدة بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد الله وفيدة ، المعمرون ، ص ٧١ .

[3] المعمرون ، ص ٧١ .

[4] هو : حارثة بن العبيدي بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر ، عمّر في الجاهليّة حتّى أدرك الإسلام لا يعقل ، وقد حجبه قومه دهراً طويلاً . المعمرون ، ص ٩٤ .

تأذى بي الأقارب إذا رأوني

بقيت وأين مني اليوم موتي [٥]

---

[٥] الإصابة ، ج ٢ ، ص ١٦٢ . والمعمرون ، ص ٩٤ – ٩٥ .

الفصل الخامس

الخصومات

بسط الإسلام سيطرته على العرب ، ووأد ما كان لديهم من عصبية جاهلية ، قال تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ** ﴾ [1] .

فنعم الناس بالهدوء والمحبة في وقت سادت فيه الأخوّة ، إلاّ أنّه بعد مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان – رضي الله عنه – وظهور النزاع بين علي ومعاوية نشأت خصومات سياسية انقسم الناس فيها إلى فريقين ، فانضمت قبائل إلى عليّ ، وانضمت قبائل أخرى إلى معاوية ، وعلى ضوء هذا الانقسام نشأت خصومات قبلية ما بين القبائل المؤيّدة للخلافة ، والقبائل المعارضة لها .

ازدادت هذه الخصومات حينما أعلن عبد الله بن الزبير نفسه أميراً للمؤمنين ونداً لمروان بن الحكم الخليفة الأموي ، لم تكن قبيلة كلب بمنأى عن هذه الأحداث ، حيث ارتبط شعراؤها ارتباطاً وثيقاً بالخلافة فساندت معاوية بن أبي سفيان ، الذي كان مطالباً بدم عثمان الذي تزوج من قبلية كلب ، وتزوج معاوية أيضاً من القبيلة نفسها ، وابنه يزيد ثمّ ابنه خالد بن يزيد .

وكانت بداية هذه الخصومة السياسية في وقعة صفّين حينما أخذ شعراء قبيلة كلب يحضون رفاقهم ضدّ علي وجيشه ، فهذا أحد مجهوليهم يجعل الحقّ من جانب معاوية ويسفّه علياً وأتباعه ، ويصفهم بالجهل والضلال شاناً حرباً نفسية عليهم ، يهدف منها إلى إلقاء الرعب في نفوس جيش علي قائلاً :

لقد ضلّت معاشر من نزار

---

[1] سورة الحجرات ، الآية ١١ .

إذا انقادوا لمثل أبي تراب

وإنّهم وبيعتهم عليّاً

كواشمة التّغضّن بالخضاب

تزين من سفاهتها يديها

وتحسر باليدين عن النقاب

فإيّاكم وداهية تؤودا

تسير إليكم تحت العقاب

إذا هشّوا سمعت لحافتيهم

دويّاً مثل تصفيق السحاب

يجيبون الصريخ إذا دعاهم

إلى طعن الفوارس بالحراب

عليهم كل سابغة دلاص

وأبيض صارم مثل الشهاب [1]

يطلب مرّة بن جنادة من قبيلة كلب أن تذبّ عن حريمها ونسائها ، كي لا يأسرهنّ علي إذا هزم معاوية ، ويدعوهم إلى الثبات في وجه جيش علي ، فهم أهل جرأة وشدّة ، لا يهولهم جيش أو عدو .

يا كلب ذبّوا عن حريم نسائكم

كما ذبّ فحل الشّول بين عشارها

لا تجزعوا إنّ الحروب لمرّة

إذا زيق منها الطعم عند زيارها

فإنّ عليّاً قد أتاكم بفتية

محدّدة أنيابها مع شفارها

إذا ندبوا للحرب سارع منهم

---

[1] وقعة صفين ، ص ٣٧٥ – ٣٧٦ .

فوارس حرب كالأسود ابتكارها

يخفّون دون الرّوع في جمع قومهم

بكل عضوب مقصل في حذارها [1]

ثمّ تقوم ثورة زيد بن علي بن الحسين سنة ٦١هـ ، والذي شارك معه بعض الكلبيين منهم عبد الله بن عمير العليمي[2] الذي أخذ يرتجز قبل منازلة القوم مفتخراً بأصله وثباته عند اللّقاء ، إيماناً منه بقضيّة آل البيت الذين ظلمهم بنو أمّة قائلاً :

إن تنكروني فأنا ابن كلب

حسبي بيتي في عليم حسبي

إنّي امرؤ ذو مرّة وعصب

ولست بالخوّار عند النّكب

إنّي زعيم لك أم وهب

بالطعن فيهم مقدماً والضرب

ضرب غلام مؤمن بالربّ [3]

هذا الفخر المملوء بالإيمان بقضيّة آل البيت صاحبه رثاء لهذا البطل زيد بن علي ، حين قتل وحملت رأسه إلى الشام حتّى رميت أمام الدجاج تنقرها ، فقال في ذلك :

اطرد الديك عن ذؤابة زيد

طالما كان لاقطاً للدجاج

ابن بنت النبي أكرم خلق

---

[1] وقعة صفين ، ص ٤٧٥ .

[2] هو : عبد الله بن عمير ، من بني عليم بن جناب ، سكن الكوفة ، وشهد مقتل الحسين ﷺ ، وكان من أتباعه ، تاريخ الطبري ، ج ٦ ، ص ٤٣٢ .

[3] المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٤٣٠ . ، ج ٦ ، ص ٤٢٩ .

الله زين الوفود والحجّاج

حملوا رأسه إلى الشام ركضاً

بالسّرى والبكور والإدلاج [1]

وهذا حكيم بن عيّاش الذي عرف بهجائه لآل البيت [2]افتخر بصلب زيد ووازن بين علي وعثمان مغلّباً بني أميّة على علي الذي يعدّون حبّه من باب الخطل والسفاهة قائلاً :

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة

ولم أرّ مهديّاً على الجذع يصلب

وقستم بعثمان علياً سفاهة

وعثمان أزكى من علي وأطيب [3]

زادت حدّة الشعر السياسي عندما تأزّم الموقف بين بني أميّة والزبيريين الذين نازعوهم الخلافة بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية ، وانتهى هذا التأزّم بانتصار الأمويين في (مرج راهط) حيث أبلت قبائل اليمن – التي من بينها

---

[1] أنساب الأشراف ، ج ٣ ، ص ٢٥٢ . ج ٤ ، ص ٣٥ .

[2] قصته مع عبد الله بن جعفر (جاء رجل إلى عبد الله بن جعفر فقال له : يا ابن رسول الله هذا حكيم الكلبي ينشد الناس هجاءكم بالكوفة ، فقال له : هل حفظت شيئاً ، وأنشده :

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة

ولم أرّ مهديّاً على الجذع يصلب

وقستم بعثمان علياً سفاهة

وعثمان أزكى من علي وأطيب

فرفع عبد الله يديه إلى السماء وهما ينتفضان رعدة فقال : اللهم إن كان كاذباً فسلّط عليه كلباً فخرج حكيم من الكوفة فأدلج فافترسه الأسد فأكله ، وأتى البشير عبد الله وهو في مسجد رسول الله ﷺ فخرّ لله ساجداً وقال : (الحمد لله الذي صدقنا وعده) . معجم الأدباء ، ١٠/ ٢٤٧ . . والإصابة ، ج ٢ ، ص ٢١٤ .

[3] معجم الأدباء ، ١٠/ ٢٤٧ . والإصابة ، ج ٢ ، ص ٢١٤ .

كلب – بلاءاً حسناً فاستقرّ الأمر لمروان بن الحكم فافتخر بذلك عمرو بن المخلاة [1]:

ردّدنا لمروان الخلافة بعدما

جرى للزبيريين كلّ بريد

فإلا يكن منّا الخليفة نفسه

فما نالها إلاّ ونحن شهود [2]

بعد أن أحسّ بنو أميّة بالاطمئنان بعد (مرج راهط) أخذوا بنسيان حلفائهم شيئاً فشيئاً ، فهذا الأحمر بن شجاع [3]يذكّر مروان بن الحكم بما قدمته له قبيلة كلب ولآل بيته عندما كان الزبيريون أقرب للنصر ، ويستغرب منه هذا الإزورار عنه وعن قبيلته كلب ، وهم أحقّ أن يقبل عليهم أكثر من غيرهم :

فإن تنكرن مروان حسن بلائنا

نكونن أخاها حين تخشى وتذعر

فعلنا بهم فعل الكرام فأصبحوا

وما منهم إلاّ عن الشكر أزور

إن يكفرونا ما صنعنا إليهم

فما كل من يؤتى له الخير يشكر [4]

---

[1] هو : عمرو بن المخلاة ، أو المخلى ، كان يقال لأبيه مخلاة الحمار من بني تيم اللات بن رفيدة ، كان شاعر بني مروان ، مداحاً لهم ، اشترك في (مرج راهط) فشترت عينه . معجم الشعراء ، ص ٦٨ . وتاريخ الطبري ، ج ٥ ، ص ٥٤٣ .

[2] معجم الشعراء ، ص ٦٨ . وتاريخ الطبري ، ج ٥ ، ص ٥٤٣ .

[3] هو : الأحمر بن شجاع بن دحية بن القعطل بن سويد بن الحارث بن حصن بن عدي بن جناب ، شاعر وفارس ، المؤتلف والمختلف ، ص ٤١ .

[4] كتاب الجيم ، أبو عمرو الشيباني ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٩٧٤م ، ج ٢ ، ص ١٤٦ .

وتزداد الهوّة بعد ذلك حين يقتل الوليد بن يزيد خالداً بن عبد الله القسري أحد رؤوس اليمانيّة ، ثمّ من بعد يتولّى مروان بن محمد الخلافة ، فتكره قبيلة كلب ذلك ، وينبري شعراؤها ثائرين عليه فيدعو عطيّة بن الأسود ثابت بن نعيم الجذاعي الثورة على مروان ، لما لقيت من كلب وكل يماني قد فجعه مروان بقريب له ؛ لذلك يدعوا ثابتاً لتزعّم ثورة تطيح بخلافة مروان :

يا ثابت بن نعيم دعوة جزعا

عقّت أباها وعقّت أمّها اليمن

كم من أخ لك أو مولى فجعت به

يوم الوقيعة لم ينشر له الكفن

يا ثابت بن نعيم ما لكم ثؤرٌ

أبعد عامك هذا تطلب الإجن

بيّن لنا يأمر الجندان أمرهما

ماذا تريد بأنّا منكم قمن [1]

انجلت معركة (مرج راهط) بهزيمة مريعة للزبيريين ممّا دعا شعراء قبيلة كلب إلى الشماتة بهم ، فهذا جواس بن القعطل يسخر من زفر بن الحارث ؛ بسبب ما يقاسيه من ألم وحزن ؛ للهزيمة ، ويفخر بما فعلته اليمن – وعلى رأسها قبيلة كلب – عندما كسرت شوكة قبائل مضر :

لعمرك لقد أبقت وقيعة راهط

على زفر شيئاً من الداء باقيا

مقيماً ثوى بين الضلوع محلّه

وبين الحشا أعيا الطبيب المداويا

يبكى على قتلى سليم وعامر

[1] معجم الشعراء ، ص ١٥٨ – ١٥٩ .، وتاريخ الطبري ، ج ٧ ، ص ٣١٤ .

وذبيان مغدوراً ويبكي البواكيا

دعا بسلاح ثمّ أحجم إذ رأى

سيوف جناب والطوال المذاكيا

عليها كأسد الغاب فتيان نجدة

إذا أشرعوا نحو الطعان العواليا [١]

مثل جواس أيضاً عمرو بن حجر [٢] الذي طابت نفسه لما حدث لمضر وقيس في (مرج راهط) ويعيرهم بعجزهم عن الثأر لأنّ هذه الوقعة لم تبق لهم قوّة يمكن أن تعينهم على الانتقام ثمّ يبيّن كيف تركوهم طعام سائغاً للذئاب والضباع :

ألا من مبلغ قيساً رسولا

بأنّا قد شفينا واشتفينا

غداة المرج نضربكم ببيض

صوارم في المهزّة يلتوينا

فلم تحموا – هنالكم – ذمارا

ولا عطفت كتائبكم علينا

فأشبعنا ضباع الأرض منكم

وأقررنا بقتلكم العيونا [٣]

بعد مرج راهط أغار عمير بن الحباب السلمي ومن معه من مضر وقيس على بطون قبيلة كلب ومنهم بنو الجلاح فقتل منهم خلقاً كثيراً ممّا أحزن

---

[١] الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ١٥٢ . و الحيوان ، ج ٣ ، ص ٤٢٢ .

[٢] هو : عمرو بن حجر الكلبي ، الديوان ، ص ١٨٢ .

[٣] معجم الشعراء ، ص ٤٥ .

هند الجلاحيّة [1] التي استصرخت قومها لعدم ثأرهم لقتلاهم الذين دفنتهم النساء في بئر كوكب :

ألا هل ثائر بدماء قوم
أصابهم عمير بن الحباب
وهل في عامر يوماً نكير
وحيّي عبد ودّ أو جناب
فإن لم تثأروا من قد أصابوا
فكونوا أعبداً لبني كلاب
أبعد بني الجلاح ومن تركتم
بجانب كوكب تحت التراب
تطيب لغائر منكم حياة
ألا لا عيش للحيّ المصاب [2]

بعد ذلك انتقم حميد بن حريث لقبيلة كلب يوم العاه عندما أوقع ببني فزارة ، فاشتكوا لعبد الملك بن مروان الذي أرضاهم بالديات فعيّرهم عمرو بن المخلاة بذلك ؛ لأنّ العرب لا تقبل الديّة ، بل تثأر لقتلاها ، فذلك أشفى للنفس ويعيّرهم لأنّ ما أخذوه من دراهم ليس له نفع غير شراء الخلاخيل لتعليقها على الخيول ؛ وذلك من أفعال الرقص واللّهو ، أمّا هم فليسوا أهلاً للحرب ؛ لأنّ تلك الهزيمة لم تترك لهم عوناً للثأر :

خذوها يا بني ذبيان عقلا
على الأجياد واعتقدوا الخذاما
دراهم من بني ذبيان بيضاً
ينجمها لكم عاماً فعاما

---

[1] هي : هند الجلاحية من بني الجلاح من بني عامر الأكبر ، الأغاني ، ج ٢٤ ، ص ٢٢ .
[2] الأغاني ، ٢٤/ ٢٧ .

وقائلة على دهش وحزن

وقد بلّت مدامعها اللّثاما

كأنّ بني فزارة لم يكونوا

ولم يرعوا بأرضهم الثماما

ولم أر حاضراً منهم بشاه

ولا من يملك النعم الركاما [1]

[1] الأغاني ، ج ١٩ ، ص ٢٠٢ – ٢٠٤ .

الباب الثاني

الدراسة الفنية عند شعراء قبيلة كلب

ويشمل :

الفصل الأول : اللغة والأسلوب .

الفصل الثاني : التصوير والتخييل .

الفصل الثالث : الموسيقى الشعرية .

الفصل الأول
اللغة والأسلوب

تعدّ لغة الشعر أفضل عنصر في صياغة القصيدة ؛ فبها تتبيّن جودة الأداء الشعري ، وبها تتضح قوة بنيان القصيدة وتماسكها ، وتتشارك في هذا البناء مجموعة من العناصر التي تمكن اللغة من أداء وظيفتها في القصيدة على أكمل وجه .

" لغة الشعر تختلف عن لغة العلم والفلسفة ، فالعلم والفلسفة في حاجة إلى لغة تصل إلى الهدف مباشرة ، أمّا اللغة في الشعر فلها شأن آخر ، إنّ لها شخصيّة كاملة تتأثّر وتؤثّر ، وهي تنقل الأثر من المبدع إلى المتلقي نقلاً أميناً ، وهي بعد لغة فردية في مقابل اللغة العامة التي يستخدمها العلم " (١).

ودور اللغة في بناء القصيدة لا يمكن تجاهله ، واللغة يقصد بها طريقة الشاعر في انتخاب مفرداته ، وانتقاء ألفاظ تتكون منها الجمل والعبارات ، فالأبيات والقصائد والأراجيز ، وبناء الألفاظ وعلاقاتها الدلالية ومدى ما يفجره اللفظ من معنى داخل السياق كلها مقومات ساهمت في تحقيق البنية الفنية للقصيدة (٢).

دراستنا للغة الشعراء الكلبيين ، نقصد به دراسة اللغة التي تنشأ نتيجة تفاعل الكلمات واستخدامها بطريقة رمزية أحياناً والدلالة على معنى غير المعنى المألوف أحياناً أخرى .

وعند شعراء كلب يبرز مفهومان يشكلان جزءاً من عالمهم الشعري فتدور مجموعة ألفاظ حول مفهوم ما ، أو بمعنى كلمة محورية ينطلق منها

---

(١) الأسس الجمالية في النقد العربي ، عز الدين إسماعيل ، عرض وتفسير ومقارنة ، ط١ ١٩٥٥م ، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي ، مطبعة الاعتماد ، مصر ، ص ٣٤٨ .

(٢) بناء القصيدة في شعر الناشئ الأكبر ، ص ١١٣ .

الشاعر للحديث عن جزئية من جزئيات الحياة ، فتكون هذه الكلمة مفهوماً تتضح من خلاله رؤية خاصة لهؤلاء الشعراء ، وهذان المفهومان هما : مفهوم الغربة ، ومفهوم الزمن .

المبحث الأول
مفهوم الغربة

شعر الغربة أو الحنين من أصدق ما قالته العرب ، وذلك لأنّه يصدر من عاطفة صادقة بعيداً عن التزييف ، لأن الشاعر حينئذ يكون قد تخلّت عنه الحياة وروعة المأساة ، وأحسّ بالعزلة والغربة حينها يكون الشعر ملاذه وكهفه . " يعدّ من أصدق وأقوى ألوان الشعر العربي ، وأشدّها تأثيراً في النفس لأنه يعبر عن الحياة الوجدانية للشاعر ووجوده المعنوي كله " [١]. أو كما يقول الدكتور عبد الله الطيب : " الشوق والحنين من أعمق المعاني الإنسانية وأشدّها لصوقاً وعلوقاً بالنفس ، وحياة البداوة ممّا يزيدهما ويقويهما لأنّها أكثر ما تقوم على الفصيلة والأسرة والدار والوطن " [٢] .

لعلّ أكثر أشكال الغربة هي غربة الوطن ، وفيه يكون الاشتياق إليه هاجس الشاعر ، وإحساسه بالغربة لفراقه وطنه هو المسيطر عليه فينتظر اللحظة التي يعود فيها إليه ، كما في أبيات ميسون بنت بحدل :

لبيت تخفق الأرواح فيه
أحبّ إليّ من قصر منيف
وأصوات الرياح بكل فجّ
أحبّ إليّ من نقر الدفوف
وبكر يتبع الأظعان صعب
أحبّ إليّ من بغل زفوف

---

(١) تيارات معاصرة في الشعر الجاهلي ، د. سعد دعيبس ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص ١٥٧ .

(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها د. عبد الله الطيب ، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر ، ط٤ ، الخرطوم ، ج ٣ ، ص ١٤٠ .

وكلب ينبح الطراق عنّي

أحبّ إليّ من قطّ ألوف

ولبس عباءة وتقرّ عيني

أحبّ إليّ من لبس الشفوف

وأكل كسيرة في قعر بيتي

أحبّ إليّ من أكل الرغيف

وخرق من بني عمّي نحيف

أحبّ إليّ من علج عليف

خشونة عيشي في البدو أشتهي

إلي نفسي من العيش الظريف

فما أبغي سوى وطني بديلاً

فحسبي ذاك من وطن شريف [١]

فالكلمات : الأرواح والكلب والبكر ، والاظعان ، وكسيرة ، كسر بيتي وخرق ، وخشونة ، والبدو ، وعباءة . ألفاظ دالة على الحياة في وطن الشاعرة ، وهي ألفاظ مساعدة تلاحمت فشكّلت بجزئياتها المفهوم العام للنص وهو الحنين ، الموازي للمفهوم الشامل ، وهو الغربة .

ويقول شاعر آخر من قبيلة كلب ترك قومه :

وحنّت ناقتي طرباً وشوقاً

إلى من بالحنين تشوقيني [٢]

فالألفاظ حنت وطرباً وشوقاً وأغراك ، تساعدت لتخدم لفظة الحنين ، وهي المفهوم الجزئي لمفهوم الغربة .

---

[١] خزانة الأدب ، ج ٨ ، ص ٥٠٣ – ٥٠٤ ، الأبيات في : الحماسة الشجرية ، ج ٢ ، ص ٥٧٣ ، والحماسة البصريّة ، ج ٢ ، ص ، ولسان العرب ، مادة (مسن) .

[٢] حماسة أبي تمام ، ج ١ ، ص ١٧١ .

وقد يكون الحنين بما تثيره المطية في نفس الشاعر ، فالناقة تصبح مثيرة عندما تحن ، لا بد أن يحن الشاعر معها ، مثل ذلك قول سالمة الكلبية [١] :

ألا لا تلوماني على الشوق وانظرا
إلى العجم يبدين الصبابة من قبلي
لقد هاج لي شوقاً وغال صبابتي
حنين قلوصي حيث حنّت بذي الأثل [٢]

فحنين القلوص هو المثير الذي دفع الشاعرة إلى استقطاب ألفاظ مساعدة مثل الشوق ، والصبابة ، وهاج ، وغال .

من دواعي الغربة البحث عن طيب العيش ، وهو بحث عن عالم مجهول ، فقد يجد الإنسان الشيء الذي هاجر من أجله وقد لا يجده ، يصف عدي بن غطيف ظعناً انتقل من ديار قبيلته الساكنة في الصحراء إلى أماكن خصيبة في بلاد الشام :

يا من رأى ظعناً تيمم صرخداً
يحدو بها حوران فهي ظماء
تنضو البراجم والحروب جمالها
لا أن تحث وأن تحث سواء
أنبئن بالجولان روضاً ممرعاً
فكأن حارثة لهنّ لواء
لما حللن حليمة من جاسم

---

[١] هي : سالمة الكلبية ، الديوان ، ص ٢٦٥ .

[٢] الحماسة البصرية ، علي بن أبي الفرج البصري ، تحقيق د. عادل جمال سليمان ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ج ٢ ، ص ٦٢١ .

طرح العصي وأدرك الأهواء

فحللن خير محل حي سوقة

وأنالهنّ من الملوك حباء[1]

فالألفاظ المساعدة والمكملة للمعنى الأصلي الدال على الرحلة وبواعثها هي طعناً وتيمم ، ويحدو ، وحوران ، وظماء ، والبراجم ، والحروب ، كما أنّ هناك ألفاظ دلّت على أن الرحلة قد حققت النتائج المرجوّة منها وهي روضاً ، وممرعاً ، وطرح العصى ، وفحللن خير محل ، والملوك ، وحباء ، وكذا أسماء البلدان : الجولان ، وحليمة ، وجاسم ، وحي سوقة .

كما أنّ باعث الرحلة قد يكون الأمل في الحصول على الهبة من الملوك ، من ذلك قول زهير بن جناب :

جدّ الرحيل وما وقف

ت على لميس الأرأشية

ولقى ثوائي اليوم ما

علقت حبال القاطنية

حتى أؤديها إلى الـ

ملك الهمام بذي الثوية

قد نالني من سيبه

فرجعت محمود الحذية [2]

فالألفاظ المساعدة التي دلت على أن الأمل قد تحقق من الرحلة هي : نالني وسيبه ، ومحمود الحذية .

وقد تكون الرحلة بسبب هرب من سجن فراراً من حكم منتظر أن يطبّق على الهارب ، كما في رحلة يزيد بن المهلّب ، الذي هرب من سجن الحجاج

---

[1] الوحشيات ، ص ٥٢ – ٥٣ . ومعجم الشعراء ، ٨٥ .

[2] المعمرون ، ص ٣٢ – ٣٣ .

بن يوسف إلى الخليفة سليمان بن عبد الملك ، والتي يقول فيها عبد الجبار بن يزيد [(١)]:

ألا جعل الله الأخلاء كلهم

فداءً على ما كان لابن المهلب

لنعم الفتى يا معشر الأزد أسعفت

ركابكم بالوهب شرقي منقب

على كل حرجوج كأن ضلوعها

إذا حلّ عنها الكور أعواد مشجب

عدلن يميناً عنهم رمل عالج

وذات يمين القوم أعلام عرّب

فإلاّ تصبح بعد خمس ركابنا

سليمان من أهل اللوّى تتأوّب

بقوم هم كانوا الملوك هديتهم

بظلماء لم يبصر بها ضوء كوكب [(٢)]

فالألفاظ التي ساعدت على إبراز قيمة الرحلة التي لا تتحقق إلاّ بقطع هذه الأحوال ، وتحمّل ما أصابهم وركابهم من نصب وتعب هي :

أسعفت ، وركابهم ، والكور ، وعدلن ، وأعلام ، وتصبح ، وهديتهم ، وبظلماء .

وقد تكون الكراهة سبباً للرحيل ، كما في حال الأكيدر الكندي الذي خرج من دومة الجندل بعد أن دخلها المسلمون ، يقول سويد [(١)] بن شبيب في ذلك :

---

(١) هو : عبد الجبار بن يزيد بن حصن بن مدلج بن حصن بن كعب بن عليم . المحبر ، ص ١٩١. وتاريخ الطبري ، ج ٦ ، ص ٤٥٠ .

(٢) تاريخ الطبري ، ج ٦ ، ص ٤٥٠ .

(١) هو : سويد بن شبيب بن مالك بن كعب بن عليم بن جناب . معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٨٨ .

يا من رأى ظعناً تحمل غدوة

من آل أكدر سحرة بدكين

قد بدلت ظعناً بطول إقامة

والسير من قصر أشم حصين [٢]

فالشاعر قابل بين الألفاظ التي تدل على الاستقرار ، وهي طول إقامة ، وقصر أشم حصين ، وبين الألفاظ التي تدل على الرحيل وهي : الظعن ، وتحمل ، والسير . هذه الألفاظ أبرزت حاجة الشاعر إلى المزاوجة بين هذه الألفاظ المساعدة التي أحدثت التلاحم بين مفهوم الرحيل ، وبين تلك الألفاظ المساعدة التي دلّت عليه .

منه أيضاً بيتي حارثة بن شراحيل في رحلته للبحث عن ابنه زيد فالرحلة عنده تتمثل في أمل العثور على زيد ، حتى وإن استمر هذا الأمل إلى بلوغ أجله :

سأعمل نصّ العيش في الأرض جاهداً

ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل

حياتي أو تأتي عليّ منيّتي

وكل أمرئ فان وإن غرّه الأمل [٣]

ومنه أيضاً أبيات نائلة بنت الفرافصة التي زفّت إلى الخليفة الراشد عثمان بن عفّان ﵁ من باديتها إلى المدينة حاضرة الخلافة ، فهي تحاول أن تقتل الغربة بإقناع النفس أن هدف الرحلة هدف سام .

ألست ترى بالله يا ضبّ أنني

مصاحبة نحو المدينة أركبا

---

[٢] فتوح البلدان ، أحمد بن يحيى البلاذري ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ص ٧٤ . معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٨٨ .

[٣] أنساب الأشراف ، ج ١ ، ص ٤٦٧ . والاستيعاب ، ص ٥٤٤ . وأسد الغابة ، ج ٢ ، ص ٢٨١ – ٢٨٢ .

إذا قطعوا حزناً تخبّ ركابهم

كما زعزعت ريح يراعاً مثقّبا

أريد أمير المؤمنين أخا التّقى

وخير قريش منصباً ثم مركبا

أبى الله إلاّ أن تكوني غريبة

بيثرب لا تلقين أمّاً ولا أبا [١]

فالألفاظ الدالة على الرحيل ، مصاحبة نحو المدينة ، وأركبا ، وقطعوا ولا تلقين . وتوحي باستمرار هذه الغربة الناتجة عن الرحيل ، وتجعل الموت رحيلاً وغربة مستمرّة لغربتها في الحياة في جملة (تموتي غريبة) .

---

[١] معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٤٣٠ . والأغاني ، ج ١٦ ، ص ٣٢٢ .

المبحث الثاني

مفهوم الزمن

جاء في اللسان : " (إنّ زمن وزمان)[1] اسم لقليل الوقت وكثيره ، وهو مرادف للدهر عند بعضهم ، وليس مرادفاً له عند البعض الآخر ، من أجل انقطاع الزمان وكون الدهر لا ينقطع .

عني الشعراء بالزمن عناية كبيرة ، وقيل فيه شعر كثير وكان أولئك الشعراء مبهورين بجريان الزمن ، مأخوذين بسلطانه [2] . قال حاتم الطائي [3]

هل الدهر إلاّ اليوم أو أمس أو غد
كذاك الزمان بيننا يتردد

يردّ علينا ليلة بعد يومها
فلا نحن ما نبقى ولا الدهر ينفد[4]

وتحت مفهوم الزمن تندرج ألفاظ عديدة كأجزاء اليوم والسنة والليل والنهار والدهر .

الدهر : لعلّ هذه الكلمة أكثر ما جرى على أسماء الزمان في الشعر ولا يكاد اسم من سائر أسمائه يعادلها فيه جرياناً . وقد ورد ذكره في القرآن الكريم أكثر من مرّة : ﴿ **وقالوا ما هي إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وما يهلكنا إلاّ الدهر** ﴾ [5] .

---

(1) لسان العرب ، مادة (زمن) .

(2) الزمن عند الشعراء قبل الإسلام ، عبد الإله صائغ ، ط١ ، ١٩٨٦م ، ص ٣٣٥ .

(3) هو : أبو عدي حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج ، الطائي القحطاني ، فارس شاعر ، جواد يضرب به المثل بجوده . الأعلام ، ج٢ ، ص ١٥١ .

(4) ديوان حاتم ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ص ٢٨ .

(5) سورة الجاثية ، الآية ٢٤ .

فالزمان هو الدهر في قول الحارث بن الحصين [١]

وآليت لا أعطيك قسراً ظلامة

ولا طائعاً ما قدمت رجلها قدم

ولا الدهر حتى تمسح النجم قاعداً

وتنزع أصل المرخ من جانبي أصم [٢]

ويقترن الزمن بالدهر بما يفعلانه من أحداث تمر على الدنيا ، فيغدو الحي ميّتاً والخصب محلاً والملك خراباً والشباب شيخاً ، كما في أبيات سعنة بن سلامة [٣].

لقد عمرت زماناً ما يخالفني

قومي إذا قلت جدّوا سيركم ساروا

فإن بليت لقد طالت سلامتنا

والدهر قدماً له صرفاً وإمرار [٤]

وأبيات زهير بن جناب :

ليت شعري والدهر ذو حدثان

أي حين منيتي تلقاني [٥]

ويغدو الخصب محلاً كما في أبيات حبال بن سحل [٦] :

---

(١) هو : الحارث بن حصين الكلبي ، الديوان ، ص ١٤٠ .

(٢) حماسة البحتري ، ص ٢٧ .

(٣) هو : سعنة بن سلامة بن الحارث بن امرئ القيس بن زهير بن جناب . المعمرون ، ص ٩٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٥ .

(٦) هو : حبال بن حسل بن هزيم بن الصدى بن عدي بن جبلة بن أساف . المؤتلف والمختلف ص ١١٨ .

يبقى الثناء ويخلى المال عن لحز

يخشى عواقب دهر غير مأمون (١)

وقد تأخذ لفظة الدهر معاني أخرى كألفاظ الزمن مثل الأيام والليالي ، كما في قول زهير بن جناب :

إذا ما شئت أن تسلي حبيباً

فأكثر دونه عدد الليالي (٢)

وتأتي لفظة اليوم لتحمل معاني متعددة ، فهي اليوم الدال على الحقيقة الممتدّة من الصباح إلى المساء ، كما في أبيات قراد بن أجدع (٣) :

فإن يك صدّر هذا اليوم ولّى

فإنّ غداً لناظره قريب (٤)

ومنه أيضاً قول حكيم بن عياش :

ما سرّني أن أمّي من بني أسد

وأن ربى نجاني من النار

وأن تحتي عشراً من نباتهم

وأن لي كل يوم ألف دينار (٥)

وقد تأتي لفظة اليوم بمعنى المعركة ، فعدّت العرب المعركة يوماً . يقول عطاف بن أبي شعفرة :

---

(١) المؤتلف والمختلف ، ص ١١٨ .

(٢) أمالي المرتضي ، ج ١ ، ص ٢٤٣ .

(٣) هو قراد بن أجدع أو أجذع من بني الحرافية ، كان على دين النصرانية ، ومن مجالسي ملك الحيرة ، وهو صاحب قصة الوفاء التي كفل فيها حنظلة الطائي ، الذي أراد المنذر بن ماء السماء – أو النعمان بن المنذر قتله بيوم بؤسه . معجم الشعراء ، ص ٢٠٦ . ومجمع الأمثال ، ج ١ ، ص ٧١ .

(٤) معجم الشعراء ، ص ٢٠٦ . ومعجم الأمثال ، ج ١ ، ص ٧١ .

(٥) معجم الشعراء ، ص ٥٠٥ .

أعذر بني سعد لا يزال عليكم

برحرح يوم من فزارة ناصر [١]

أمّا الليل فله مدلولات عدّة فيعني ذلك الزمن الذي يحمل في جوانحه وبالاً على الأعداء ، كما في قول عمرو بن أسود [٢] :

ومحصنة قد طلقتها رماحنا

ونوح بعثناه بليل منطق [٣]

وقد يعني مسير الفارس بالليل ليخبر قومه بخطر قادم ، كما في قول غرير بن جابر[٤] :

وطرقتهم ليلاً أخبّرهم

بهم ومعي وصيّلة

كما أنّه قد يعني الوقت الذي تحلو فيه حياة اللهو والمجون ، كما في بيت خليفة بن بشير [٥] :

يا نعمها ليلة حتى تخونّها

داع دعا في بياض الصبح شجّاج [٦]

وقد يكون المطر في الليل كثيراً ، فيدعو فيه المحب السقيا لديار محبوبته ، كما في قول المنذر بن درهم :

---

[١] معجم الشعراء ، ص ١٦٠ .

[٢] هو : عمرو بن أسود ، من بني عامر الأجدار ، الكلبي ، شاعر ، فارس ، وسيد مطاع في قومه . الديوان ، ص ١٨٨ .

[٣] المصدر السابق ، ص ١٨٩ .

[٤] هو : عزير بن جابر بن زهير بن جناب . الأغاني ، ج ١٩ ، ص ٢٨ .

[٥] هو : الراعي خليفة بن بشير بن عمير بن الأحوص . المؤتلف والمختلف ، ص ١٧٧ .

[٦] المرجع السابق ، ص ١٧٨ .

سقى روضة المثري عنّا وأهلها

ركام سرى من آخر الليل رادف [١]

كما أنّهم أي شعراء قبيلة كلب ، لم يغفلوا عن أجزاء الليل والنهار فكونوا من خلالهما فكرة الزمن ، لأنّ مرور هذين الوقتين معناه انقضاء مدة من عمر الإنسان ، يقول زهير بن جناب :

لقد عمّرت حتّى ما أبالي

أحتفي في صباحي أم مسائي [٢]

والليل من الأوقات التي يخلو فيه المرء إلى أمانيه ويتأمل ظواهر الكون وحركة النجوم وسيرها ، يقول جبلة بن الحارث :

يا من رأى بارقاً قد بت أرقبه

يسري على الحيّة السوداء فالوادي

برقاً تلألأ غورياً جلست له

ذات العشاء وأصحابي بأفناد [٣]

مواقيت طلوع النجوم تحدد أجزاء الليل ، فمن النجوم ما يظهر عند الغسق ، ومنها ما يظهر عن الزلفة ، كما أنّ هناك نجوماً يقترن طلوعها بالسحر ، كما في قول عمرو بن عروة :

وبدا النجم في السماء سحيراً

مستقلاً كأنّه عنقود [٤]

تحدث شعراء قبيلة كلب عن الفصول ، فالشتاء يدل على الكرم ، وذلك من خلال النّار التي توقد أمام البيت (نار القرى) لتهدي الضيوف كي يطعموا كما في قول جبلة بن الحارث :

---

(١) معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٩٤ – ٩٥ . وخزانة الأدب ، ج ٢ ، ص ١١٣ – ١١٤ .

(٢) المعمرون ، ص ٣٤ . وأمالي المرتضى ، ج ١ ، ص ٢٤١ .

(٣) الأمالي ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ .

(٤) معجم الشعراء ، ص ٦٣ – ٦٤ .

هو الفتى يحمد الجيران مشهده

عند الشتاء وقد همّوا بإخماد [١]

والربيع يدل على راحة النفس ، ورغد العيش وطيبه ، كما في بيتي عمرو بن العداء :

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة

بإنبط أو بالروض شرقي واحد

بمنزلة جاد الربيع رياضها

قصير بها ليل العذارى الرواقد [٢]

والربيع مع الصيف يحملان في طياتهما خيراً حينما يسقي مطرهما قبور الأحبّة ، كما في قول جواس بن القعطل :

ولا زال صوب من ربيع وصيف

بهضب القليب فالتلاع به خضر

يروي عظاماً لم تكن في حياتها

يرن بها حنث اليمين ولا الغدر [٣]

كما أنّهم ذكروا ألفاظاً أخرى تدلّ على الزمن كـ(الأجل) في قول حمل بن سعدانة :

لبّث قليلاً يدرك الهيجاء حمل

ما أحسن الموت إذا دنا الأجل [٤]

---

[١] الأمالي ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ .

[٢] معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٣٤٢ .

[٣] الأشباه والنظائر ، ج ٢ ، ص ٣٣١ – ٣٣٢ .

[٤] الاستيعاب ، ص ٣٧٦ . والإصابة ، ج ٢ ، ص ١٢٤ .

و(الحقبة) كما في قول مسعود بن مصاد [١]:

أيدعونني شيخاً وقد عشت حقبة
وهنّ من الأزواج نحوي نوازع [٢]

و(الحين) كما في قول زهير بن جناب :

فللموت خير من حداج موطّأً
مع الظعن لا يأتي المحلّ لحين [٣]

---

(١) هو : مسعود بن مصاد بن حصن بن كعب بن عليم بن جناب بن هبل . المعمرون ، ص ٧٠ . والكامل في التاريخ ، ج ١٤ ، ص ٥٨١ .

(٢) حماسة البحتري ، ص ١٩ .

(٣) الأغاني ، ج ١٩ ، ص ٢٣ .

المبحث الثاني
الألفاظ

اللفظ عنصر أساسي يقوم عليه الشعر ، أو هو من الأركان الأربعة التي يقوم عليها الشعر .

يقول ابن رشيق : " الشعر يقوم بعد النية على أربعة أشياء ، وهي : اللفظ والوزن والمعنى والقافية ، فهذا هو حدّ الشعر " [(١)].

استخدم شعراء قبيلة كلب ألفاظاً استخداماً خاصاً هدفوا منه إبراز قيمة الكلمة المختارة ، وما تقدمه من خدمة للمعنى العام الذي قصده الشاعر .

١/ الدلالة الرمزية للكلمة :

توجد في الشعر العربي القديم ألفاظاً تخرج عن معانيها المعجمية إلى دلالات رمزية شبه اصطلاحية تكمن في بعض الألفاظ دون الآخر ، ومن ذلك كلمة (الحبل) في قول الحسام بن ضرار [(٢)]:

فينتقض الحبل الذي قد فتلتم

ألا ربّما يلوى فينتقض الحبل [(٣)]

فالحبل هنا ليس ما يربط به ؛ بل يعني العهد والميثاق بين بني مروان وبين بني كلب الذين ثبّتوا ملك بني مروان في مرج راهط ، لكنهم بعد ذلك أخذوا في التملّص من ميثاقهم شيئاً فشيئاً .

ومن ذلك أيضاً كلمة (الثدي) في قول جواس بن القعطل :

---

(١) العمدة ، ج ١ ، ص ١٣٤ .

(٢) هو : أبو الخطاب الحسام بن ضرار بن سلامان بن جشم . المؤتلف والمختلف ، ص ١٢٤

(٣) الحلة السيراء ، محمد بن عبد الله بن الأبار تحقيق ، د. حسين مؤنس ، ط٢ ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٨٥م . ص ٦٤ – ٦٥ .

إنّ الخلافة يا أميّة لم تكن

أبداً تدر لغيركم ثدياها [١]

فهذه الكلمة لا تعني وعاء حليب المرأة ، بل تعني حقّ بني أميّة في الخلافة .

ومثلها كلمة (العجوة) في قول عطاف بن أبي شعفرة :

كلوا عجوة الوادي فإنّ بلاءكم

قليل إذا ما كان يوم قماطر [٢]

فالعجوة هنا لا تعني التمر بمعناه المحسوس ، بل تنتقل إلى رمز معنوي مجرد ، هو الذل والهوان .

هناك صفات رمزية اقترن استعمالها بميزات معينة ، كاللون الأبيض الذي يكثر استعماله في معرض المدح ويرمز إليه بالشرف والعفّة ، كما في قول نائلة بنت الفرافصة في رثاء عثمان بن عفان ﷺ :

إذا جئته يوماً ترجّى نواله

مدّت لك سيماه بأبيض كالبدر [٣]

٢/ الدلالة والترادف :

ويقصد به وقوع لفظين بمعنى واحد ، أو تقاربهما فيه ، وهناك ثلاثة نماذج للترادف في الشعر الذي بين أيدينا :

الأول : أن يجمع بين كلمتين مترادفتين في الثانية ما يريد إبرازه من معنى واسع في الأولى ، ومن ذلك قول زيد بن حارثة :

---

(١) أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٣٧٦ .

(٢) معجم الشعراء ، ص ١٦٠ .

(٣) الأغاني ، ج ١٦ ، ص ٣٢٤ .

فكفّوا عن الوجد الذي قد شجاكم

ولا تعمدوا في الأرض نصّ الأباعر[1]

فكلمة شجاكم أبرزت المضمون الانفعالي للوجد وهو الإلحاح والتأكد على ما أصاب أهله من حزن لفقده .

ومنه أيضاً قول بحر بن الحارث :

من عاش خمسين حولاً بعده مئة

من السنين وأضحى بعد ينتظر[2]

فالشاعر أبرز المضمون الانفعالي لكلمة حولاً بذكر مرادفها المشترك معها في المضمون العام السنين ، ليؤكّد مقدار ما أصابه ومعاناته لكبر سنّه .

الثاني : أن يذكر الشاعر مرادفين ليبيّن أن أحدهما أبعد دلالة من الآخر ، ومثله قول جبلة بن الحارث :

يا عين بكّي لمسعود بن شداد

بكاء ذي عبرات شجوه بادي [3]

فكلمة البكاء أوسع تعبيراً من الشجو التي يمكن أن تكون أقل تعبيراً عن الحزن ، ممّا يعطي بعداً لما يقاسيه الشاعر من ألم بعداً في النفس ، خاصة أنّه كرر البكاء اسماً بكاء وفعلاً بكى .

الثالث : أن يجمع المترادفين لإنهاء قافية . ومن هذا النوع بيت عمرو بن المخلاة :

فلن ينصب القيسي للناس راية

من الدهر إلاّ وهو جزيان خاشع [4]

---

[1] الإصابة ، ج ٢ ، ص ٥٩٩ .

[2] المعمرون ، ص ٧٠ . والإصابة ، ج ١ ، ص ٣٩٩ .

[3] الأمالي ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ . والأغاني ، ج ١٢ ، ص ١١ .

[4] نقائض جرير والأخطل ، ج ١٨ ، ص ١٩ .

ومنه أيضاً بيت رباب بنت امرئ القيس [١]:

والله لا أبتغي صهراً بصهركم

حتى أغيب بين الرمل والطين [٢]

فكلمة الرمل هي التي جعلت الشاعرة تختم البيت بكلمة الطين ؛ لتأكيد المعنى .

٣/ الطباق :

الطباق أن يأتي الشاعر بالمعنى وضدّه ، أو ما يقوم مقام الضد [٣].

من الطباق في شعر شعراء قبيلة كلب قول زهير بن جناب :

أمير شقاق إن أقم لا يقم معي

ويرحل وإن أرحل يقم ويخالف [٤]

في هذا البيت أكثر من طباق ، فالطباق بين أقم ، ولا يقم ، وهو طباق سلبي ، وبين يرحل ، ويقيم .

منه أيضاً قول زهير نفسه :

فلئن طعنت لأصحبن مخيماً

ولئن أقمت لأظعننّ على هوى [٥]

الطباق بين ظعنت وأقمت .

---

(١) هي : الرباب بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب ، زوّجها أبوها الحسين بن علي . الأغاني ، ج ١٦ ، ص ١٤١ .

(٢) المرجع السابق ، ج ١٦ ، ص ١٤٢ .

(٣) الكافي في العروض والقوافي ، الخطيب التبريزي ، تحقيق الحساني حسن عبد الله ، ج ١ ، ص ١٧٠ .

(٤) الأغاني ، ج ١٩ ، ص ٢٤ . والمعمرون ، ص ٢٦ .

(٥) الأغاني ، ج ١٩ ، ص ٢٥ .

ومنه أيضاً الطباق بين حلوا وساروا ، وإسرار وإمرار في أبيات امرئ القيس بن الحمام :

إنّ الكبير إذا طالت زمانته
فإنّما حمله جنازة عار
ومن يعش زمناً في أهله خرفاً
كلا عليهم إذا حلّو وإن ساروا
يذمم مرارة عيش كان أوله
حلواً وللدهر إسرار وإمرار [1]

٤/ التكرار :

وهو تناوب الألفاظ وإعادتها في التعبير بحيث تشكل نغماً موسيقياً يتقصّده الناظم في شعره أو نثره " فالشاعر لا يكرر اسماً إلاّ على جهة التشويق والاستعذاب إن كان في تغزّل أو نسيب ... أو على سبيل التنويه به والإشارة إليه بذكر إن كان في مدح ، أو على سبيل التقرير والتوبيخ أو على سبيل التعظيم للمحكي عنه ، أو على سبيل التوجّع إن كان رثاءً أو تأبيناً ، وفي الهجاء على سبيل الشهرة وشدّة التوضيع بالمهجو " [2] .

وهو على ضربين :

١/ تكرار الحروف : وهو تكرار حرف من الحروف بعينه في البيت الشعري .

٢/ تكرار الألفاظ : وهو تكرار لفظة بعينها ، سواء كانت في بيت واحد أو عدد من الأبيات .

---

(١) المعمرون ، ص ٧١ .

(٢) العمدة ، ج ٢ ، ص ٢٨٣ .

فمن تكرار الحرف ، قول عبد العزّى بن امرئ القيس :

جزاني جزاه الله شرّ جزائه

جزاء سنمار وما كان ذا ذنب (١)

فالشاعر كرر حرف الجيم والزاي ؛ ليبيّن مقدار الظلم الذي لحق به حين كوفأ بالقتل جزاءً لمعروفه .

من تكرار الألفاظ ، قول مالك بن عمرو :

متى تفخر بزرعة أو بحجر

تجد فخراً يطير به السناء

هم السادات من أبناء عمرو

ومن لهم المهابة والبهاء

وهم قاموا بحرب ما جنوها

فكان لهم رحاها واللّواء

وهم وقفوا على ماء الركايا

لتكرع في النجيع قنى ظماء

وهم عادوا بعفو من حلوم

وهم ساسوا البرية كيف شاءوا (٢)

فالشاعر كرر الضمير هم ، وهو تكرار على سبيل الإشارة والتنويه تكرار إطناب .

ومنه أيضاً قول جبلة بن الحارث :

أبا زرارة لا تبعد فكل فتى

يوماً رهين صفيحات وأعواد

---

(١) تاريخ الطبري ، ج ٢ ، ص ٦٦ – ٦٧ . وأمالي الشجري ، ج ١ ، ص ١٥٣ .

(٢) الإكليل ، ج ٢ ، ص ١٢٢ .

هو الفتى ويمين الله قد علموا

يخلوا به الحي أو يغدو به الغادي

هو الفتى يحمد الجيران مشهده

عند الشتاء وقد همّوا بإخماد [١]

فتكرار كلمة الفتى توحي بعظيم الفقد ، وذلك أنّه مات في ريعان شبابه وفي ذلك يقول ابن رشيق : " وأولى ما تكرر في الرثاء لمكان الفجيعة وشدّة القرحة التي يجدها المتفجّع " [٢].

ومن تكرار الألفاظ قول حارثة بن صخر :

فلا وأبيك ما باليت وجدي

ولا شوقي الشديد ولا اكتئابي

ولا دمعاً تجود به المآقي

ولا أسفي عليك ولا انتحابي

لعمرك لا تلوميني ولومي

جناباً حين أزمع بالذهاب

يذكرني الحمام صفي نفسي

جناباً من عذيري من جناب [٣]

فالشاعر كرر لفظة جناب ليبيّن مدى ما أصابه من ألم وحزن لفراق ولده ، وذلك عندما أسلم ولده جناب ، وهاجر إلى المدينة .

---

[١] الأمالي ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ .

[٢] العمدة ، ج ١ ، ص ٦٨٧ .

[٣] الإصابة ، ج ١ ، ص ٥٠١ . والمعمرون ، ص ٧٣ .

ومنه أيضاً قول جواس بن القعطل :

دسنا – ولم نفشل – هوازن دوسة

تركت هوازن كالفريد الأعزل

من بعدما دسنا ترائق هامها

بالمشرفية والوشيج الذبل [١]

---

[١] الديوان ، ص ٢٣٠ .

الفصل الثاني
التخييل والتصوير

التخييل والتصوير لهما دور أساسي في البناء الشعري ، حيث اعتمد عليهما الشعراء في تكوين لوحاتهم الفنيّة ، وعمدوا إليهما في التعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم .

يقوم التخييل على المبالغة والإغراق ومجاراة العقل والمنطق والتحليق في عالم اللاواقع كما يقول الجرجاني : " يصبح التخييل قياساً خادعاً يقوم على مقدمات كاذبة توهم المتلقّي بمعاني خادعة تضلله " [١] .

ويعتمد الشاعر على المشاهدات الجزئيّة ويشكّل منها صوره الخياليّة ، التي لا وجود لها إلاّ أنّ هذه الصورة ، تظلّ قابلة للإدراك والتصوّر عند المتلقي [٢].

كما يهدف الشاعر من خلالهما إلى إيضاح المعنى وجلاءه عن طريق الصورة الفنيّة ، التي تعتمد على المشابهة . " ولعلّ أبرز ما يفرزه الذهن هو الصورة الخياليّة ، التي تكسب المعنى خصوبة وامتلاءً ، وهذا النوع أدخل من غيره في باب الإبداع الخيالي ؛ لأنّ مقدرة الشاعر الابتكاريّة تتمثّل به " [٣] .

وسأتناول في هذه الدراسة كل من التشبيه والاستعارة والكناية عند شعراء قبيلة كلب .

---

(١) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق الشيخ محمّد عبده ، دار المعرفة بيروت ، ط١ ، ص ٢٢٢ .

(٢) الصورة الفنيّة في التراث النقدي والبلاغي ، جابر عصفور ، دار الثقافة ، القاهرة ، ص ٨٢ .

(٣) التفسير النفسي للأدب ، عز الدين إسماعيل ، ط٤ ، دار العودة ، بيروت ، ص ٩٢ .

أولاً التشبيه :

التشبيه هو : " الوصف بأن أحد الموصفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه ناب منابه ، أو لم ينب " [1] .

ويعرّفه ابن رشيق : " التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة ، أو جهات كثيرة ، لا من جميع جهاته ، لأنّه لو ناسبه مناسبة كليّة ، لصار إيّاه " [2] .

وقيل أجود التشبيه إخراج ما لا يقع عليه الحاسة إلى ما يحس ، كقوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء** ﴾ [3] ، فأخرج ما لا يحسّ إلى ما يحسّ ، والمعنى الذي يجمعهما ، بطلان المتوهّم ، مع شدّة الحاجة ، وعظم الفاقة .

يشكّل التشبيه حضوراً كبيراً في شعر شعراء قبيلة كلب ؛ ذلك لأنّ التشبيه أصل من أصول التصوّر البياني ، ومصدر من مصادر التعبير الفني وهو بعد : " عمليّة جماليّة تهدف إلى توضيح فكرة ، أو تقريب معنى من آخر ، أو تمثيل شيء بشيء ، مدحاً أو ذمّاً ، تزييناً أو تقبيحاً " [4] .

من التشبيهات الواردة في أشعار قبيلة كلب قول حارثة بن صخر :

تركت أباك بالأدوات كلاً
وأمّك كالعجول من الظراب [5]

---

[1] الصناعتين ، (الكتابة والشعر)، أبو هلال العسكري ، تحقيق مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ٢٦١ .

[2] العمدة ، ج١ ، ٢٨٦ .

[3] سورة النور ، الآية ٢٩ .

[4] علم البيان ، بدوي أحمد طبان ، مطبعة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٧٧م ، ص ٦٥ .

[5] المعمرون ، ص ٧٢ .

فالشاعر استعان بالتشبيه ليعقد مقارنة بين حاله بعد فقد ولده ، وحال الصغار من العجول الذين فقدوا أمّهم ، والجامع بينهما شدّة الحاجة .

ومنه قول زهير بن جناب :

فإنّا حيث لا يخفى عليكم

ليوث حين يحتضر اللقاء (١)

ومنه قول زهير نفسه مشبهاً الهاربين من بني تغلب بالنعام الشريد :

وهم هاربون في كلّ فجّ

كشريد النعام فوق الروابي (٢)

وفي موضع حماسي ، يبيّن زهير فضل قبيلته على بقيّة القبائل ، قال :

فضل العزّ عزّنا حين نسمو

مثل فضل السماء فوق السحاب (٣)

وفي هجاء تغلب نفسها ، يشبّه زهير نساءها وقد سبين ، وجرّدت منهنّ الحلي والزينة :

تبّاً لتغلب أن تساق نساؤهم

سوق النساء إلى المواسم عطّلا (٤) .

ومنه ، قول عبد العزّى بن امرئ القيس الكلبي :

جزاني جزاه الله شرّ جزاءه

جزاء سنمار وما كان ذا ذنب (٥)

استعان الشاعر بالتشبيه ليعقد مقارنة بين حاله وقد كوفئ على إحسانه بالإساءة ؛ بحال سنمّار ذلك الرجل الذي بنى للنعمان بن المنذر قصراً كأحسن

---

(١) الكامل في التاريخ ، ج١ ، ص ٥٠٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٠٥ .

(٣) الأغاني ، ج١٩ ، ص ٢٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٣ .

(٥) أمالي الشجري ، ج١ ، ص ١٥٣ .

ما يكون ، فخاف النعمان أن يبني لغيره مثل ما بني له فكان جزاؤه أن أرداه من أعلى القصر مقتولاً .

ومنه قول عمرو بن شراحيل يشبّه عدوّه وقد صرعه وتركه متقبّض الجلد متشنّجاً بالجمل المهشوم المتروك الذي لا يصلح لشيء :

تركت كعباً وكعب قائم ردن

كأنّه من جمال الريف مهشوم (١)

ومنه قول جواس بن القعطل في هجاء بني قنافة ، حيث يشبههم بالقرود قائلاً :

أتتك العيس تنفخ في براها

بوفد من قنافة كالقرود (٢)

ويهجو جواس حسّاناً بن مالك بن بحدل هجاءً مرّاً مستعيناً بعدّة تشبهات لتحقيق غرضه ، فشبهه أول الأمر بالطبّاخ الذي ألهاه صناعة الطعام عن نظافة ثيابه ، ثمّ يشببهه بالجعل ، تلك الخنفساء التي تعيش على القاذورات ، لقلّة مروءته ، ثمّ يشبهه في قلة الحيلة ، بالوبر ، تلك الدويبة الصحراوية التي لا تجد حيلة لتفرّ بها من الصيادين غير الاستسلام ، قائلاً :

هل يهلكني – لا أبا لكم –

دنس الثياب كطابخ القدر

جعل تمطّى في عمايته

زمر المروءة ناقص الشبر

لزبابة سوداء حنظلة

والعاجز التدبير كالوبر (١)

---

(١) معجم الشعراء ، ص ٦٣ .

(٢) الديوان ، ص ٢٢٨ .

ومنه قول مسروح بن أدهم في هجاء النابغة الذبياني مشبّهاً إيّاه بجرادة العيار ، والعيّار ذلك الرجل الأثرم الذي وقع في غداة قرّة على جراد فخرجت واحدة من ثرمته ، فأخذها وقال : هذه والله حيّة لم تمت ، ثمّ أضاف إليه تشبيهاً آخراً مشبّهاً النابغة وقد أقبل عليه فوارس كلب فكره لقاءهم بالخنزير الذي رأى قدر الماء المغلي كي يسلق عليه فكرهه ، قائلاً :

ولقد لقيت فوارساً من قومنا

غنظوك غنظ جرادة العيّار

ولقد رأيت مكانهم فكرهتهم

ككراهة الخنزير للإيغار [٢].

---

[١] الحيوان ، ج٣ ، ص ٥٠٩ .

[٢] الأصنام ، ص ٣٠ .

ثانياً : الاستعارة

الاستعارة هي : " نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض ، وذلك الغرض إمّا أن يكون شرح المعنى ، وفضل الإبانة عنه أو تأكيده والمبالغة فيه " [١] . وفضلها أنّها تفعل في السامع ما لا تفعله الحقيقة . كما في قوله تعالى : ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾ [٢]، فاستعمل النور مكان الهدى ، والظلمة مكان الكفر .

تعدّ الاستعارة وسيلة جوهريّة للتعبير والتصوير الفني ، وقد شكّلت الاستعارة حضوراً مميزاً في شعر شعراء قبيلة كلب ، فاستعملوا بعض الألفاظ الغيبيّة كالدهر والموت والسنين لتأخذ صوراً تشخيصيّة تتصرّف في الدنيا كما يتصرّف صاحب القدرة على فعل أي شيء ، من ذلك قول زهير بن جناب :

جلح الدهر وانتحى لي وقدما
كان ينحي القوي على أمثالي
يدرك التمسح المولع في اللجة
والعصم في رؤوس الجبال
وتصدى ليصرع البطل الأر
وع بين العلماء والسربال [٣]

وقيمة الاستعارة أنّها : " تبدّل بعض المقاييس ، فقد ترفع الموجودات أحياناً إلى مستوى كياني أعلى ، كأن تخلع على الجماد بعض طبيعة النبات ، أو على النبات والجماد والحيوان ، بعض طبيعة الإنسان " [١] .

---

(١) الصناعتين ، ص ٢٩٥ .
(٢) سورة الأنعام ، الآية ١٢٢ .
(٣) لسان العرب ، مادة (علم) .

من ذلك قول الأخيف بن مليك ، الذي يرفع السنين إلى مرحلة الإدراك فهي عنده تدرك كل ما تطلبه فلا تبقيه شاباً ، بل تلحقه ، وتطلب تهريمه :

وإذا السنون طلبن تهريم الفتى

لحق السنون وأدرك المطلوب [٢]

ومنها قول حارثة بن صخر الذي يستعير للحمام الهتاف :

إذا هتف الحمام على غصون

جرت عبرات عيني بانسكاب [٣]

ويرفع الربيع بن عقيل الحرب إلى مرحلة حسيّة ، فهي عنده كالإنسان يحنو ويخون :

دماً بدم والحلّ حلاً بمثله

كذا الحرب تحنو مرّة وتخون[٤]

ويصعد عقيل بن مسعود بالسّباع والطير إلى مرحلة الاستيعاب ، فهما عنده تسأل وتجيب :

فسائل سباع الأرض والطير

أننا موائدها إذ تلتقيه وتأكله [٥]

ويستعير حكيم بن عيّاش للؤم الحركة في معرض الهجاء :

لن يبرح اللؤم هذا الحيّ من أسد

حتى تفرّق بين السبت والأحد [١]

---

[١] كتاب البيان ، موجز في البيان والعروض ، جورج شكور ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ص ٧٠ .

[٢] حماسة البحتري ، ص ٣٢٨ .

[٣] المعمرون ، ص ٧٢ .

[٤] الإكليل ، ج١٠ ، ص ١٦٤ .

[٥] الديوان ، ص ١٨٧ .

ويصعد عمرو بن المخلاة بالخلافة إلى مرحلة الحركة ، فهي عنده تجري كما يجري الإنسان والحيوان :

رددنا لمروان الخلافة بعدما

جرى للزبيريين كل بريد [٢]

---

[١] خزانة الأدب ، ج١ ، ص ١٨١ .

[٢] معجم الشعراء ، ص ٦٨ .

ثالثاً الكناية :

الكناية هي : " أن تريد إثبات معنى فتترك اللفظ الموضوع له ، وتأتي بتاليه وجوداً لتومي به إليه ، وتجعله شاهداً ودليلاً عليه " [١] .

وهي وسيلة فنيّة يعبّر بها الشاعر عن المعنى من خلال خياله وتصويره ، وتستمد الكناية دلالتها من روح العصر وتقاليده ، وقيمه مما جعلها تتوافر في كثير من المصطلحات الشائعة بين الناس في أحاديثهم .

ويعدّ الأسلوب الكنائي من أهمّ الأساليب التي يلجأ إليها الأدباء والفنانون ليحققوا غايتهم في محاولة إخفاء المعنى الذي يخشون التصريح به : " قيمتها تكمن في أن الشاعر يستطيع من خلالها أن يتجنب التصريح بالألفاظ أو الأسماء أو الصفات أو المعاني المباشرة لأي سبب من الأسباب يستتر المعنى داخل صدفة فلا نصل إليه إلاّ بعد شقّها ، وكل تستّر هو ميزة فنيّة ، طالما أنّ كل تصريح أو وضوح هو ميزة علميّة " [٢] .

وقد قسّم البلاغيون الكناية بوصف المكني عنه إلى ثلاثة أقسام :

١/ تجيء الكناية لطلب الصفة ، والمراد بالصفة " الصفة المعنوية ، كالجود والكرم والإباء والشجاعة ، وأمثال ذلك ، لا النعت المعبّر عنه بالصفة في اصطلاح النحويين " [٣] .

من هذا النوع في شعر شعراء قبيلة كلب ، قول ، عدي بن غطيف :

---

[١] التبيان في علم البيان المطّلع على إعجاز القرآن ، ابن الزملكاني ، تحقيق د. أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط سنة ١٣٨٣هـ – ١٩٦٤م ، ص ٣٧ .

[٢] الصورة الشعرية في الكتابة الفنيّة ، الأصول والفروع ، دار الفكر اللبناني ، ط سنة ١٩٨٦م ، ص ١٦٨ .

[٣] الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، شرح محمّد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل الجديد ، ط٣ ، ص ١٦٢ .

لمّا حللن حليمة من جاسم

طرح العصى وأدرك الأهواء [1]

طرح العصى ، كناية عن صفة الاستقرار والإقامة .

ومنه قول أنيف بن قترة :

شربت دماً إن لم أرعك بضرّة

بعيدة مهوى القرط طيبة النشر [2]

بعيدة مهوى القرط ، أي طويلة العنق ، وهي كناية عن صفة الجمال .

٢/ وتجيء الكناية لطلب الموصوف : " وهي التي يطلب بها نفس الموصوف والكناية – هنا – تختصّ بالمكني عنه " [3] .

من هذا النوع قول زهير بن جناب :

وسبينا من تغلب كل بيضاء

رقود الضحى برود الرضاب [4]

رقود الضحى كناية عن موصوف ، وهي الفتاة المرفّهة المنعّمة التي تتأخّر في نومها إذ ليس هناك ما يشغلها .

ومنه قول عمرو بن المخلاة :

بأيدي كماة في الحروب مساعر

على ضامرات ما تجفّ لبودها [5]

ما تجفّ لبودها ، أي خيل مسروجات مستعدات للإغارة .

---

[1] معجم الشعراء ، ص ٨٥ .

[2] حماسة أبي تمام ، ج٣ ، ص ٤٦٣ .

[3] أصول البيان العربي ، محمّد الصغير ، ص ١١٧ .

[4] الأغاني ، ج١٩ ، ص ٢٤ .

[5] التنبيه والإشراف ، ص ٢٨٣ .

٣/ كناية عن نسبة : وهي " أن يأتوا بالمراد منسوباً إلى أمر يشتمل عليه ، من هي له حقيقة " [١]

من ذلك قول عمرو بن المخلاة :

هو الأبيض القرم الطويل نجاده

من القوم لا فان ولا هو يافع [٢]

طول النجاد ، يستلزم طول القامة ، وقد نسبه الشاعر لصاحبه .

---

(١) البرهان الكاشف في إعجاز القرآن ، تحقيق أحمد عبد المطلب ، وخديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط سنة ١٩٧٤م ، ص ١٠٥ .

(٢) الحماسة الشجريّة ، ج١ ، ص ١٧٢ .

الفصل الثالث
الموسيقى الشعرية

تشكل الأوزان والقوافي أهم عناصر الموسيقى الشعرية ، وهما الأساس الذي يقوم عليهما بناء القصيدة العربية .

أولاً : الأوزان :

الوزن هو أخصّ ميزات الشعر ، ويقوم على التفاعيل المؤلّفة من الأسباب والأوتاد والفواصل ، " يمثل الوزن أعظم أركان الشعر وأولاها خصوصية " [١] .

نظم شعراء قبيلة كلب قصائدهم على معظم بحور الشعر العربي ، وكان نظمهم على الطويل والوافر ثمّ الكامل والبسيط ، ثمّ الرجز والخفيف فالمتقارب والسريع والمنسرح والرمل .

وقد اتسعت هذه الأبحر لأغراضهم الشعرية من مدح ورثاء وفخر وهجاء وحنين ... إلخ .

١/ البحر الطويل :

يقول الدكتور عبد الله الطيب عن البحر الطويل والبسيط ، : " أنّهما أطولا بحور الشعر العربي ، وأعظمهما أبّهة وجلالة ، وإليهما يعمد أصحاب الرصانة ، وفيهما يفتضح أهل الركاكة والهجنة ، لكن البحر الطويل أفضل وأجلّ وأرحب صدراً من البسيط ، كما أنّه أطلق عناناً وألطف نغماً " [٢].

---

[١] العمدة ، ج١ ، ص ٨٨ .

[٢] المرشد ، ج١ ، ص ٤٤١ .

فمن الطويل في الحماسة قول عقيل بن مسعود :

كذبت لقد نالت قضاعة منكم
برغمك ما كانت لديك تحاوله
ونالت لعمري من بني عبس يافعاً
من العز ما كادت تنال أطاوله
لربّ همام قد رهنّا عراعراً
مخضّبة بالأرجوان أنامله [١]

وفي الحنين قول نائلة بنت الفرافصة :

ألست ترى بالله يا ضبّ أنّني
مصاحبة نحو المدينة أركبا
إذا قطعوا حزناً تخبّ ركابهم
كما زعزعت ريح يراعاً مثقّبا
أريد أمير المؤمنين أخا التّقي
وخير قريش منصباً ثمّ مركبا [٢]

وفي الرثاء أبيات نائلة نفسها :

ومالي لا أبكي وتبكي قرابتي
وقد غيبت عنا فضول أبي عمرو
إذا جئته يوماً ترجو نواله
بدت لك سيماه بأبيض كالبدر [٣]

---

(١) الديوان ، ص ١٨٧ .

(٢) الأغاني ، ج ١٦ ، ص٣٢٤ .

(٣) الأغاني ، ج١٦ ، ص ٣٤٤ .

٢/ البحر الوافر :

يقول عنه الدكتور عبد الله الطيب : " إنّه بحر مبدع النغمات متلاحقها مع وقفة قويّة سرعان ما يتبعها إسراع وتلاحق ، وهذا يتطلّب من الشاعر أن يأتي بمعانيه دفقاً كأنّه يخرجها من مضخّة ... وأحسن ما يصلح هذا البحر في الاستعطاف والبكائيات وإظهار الغضب في معرض الهجاء والفخر ، والتفخيم في معرض المدح " [١] .

وقد نظم شعراء قبيلة كلب على بحر الوافر ، كقول زهير بن جناب في الحماسة :

فلم تصبر لنا غطفان لمّا
تلاقينا وأحرزت النساء
فلولا الفضل منا ما رجعتم
إلى عذراء شيمتها الحياء
وكم غادرتم بطلاً كميّاً
لدى الهيجاء كان له غناء [٢]

ومن الرثاء قول عمرو بن أسود :

ألا يا عين جودي باندفاق
على مردى قضاعة بالعراق
فما الدنيا بباقية لحيّ
ولا حيّ على الدنيا بباقي
لقد تركوا على البردان قبراً
ونادوا بارتحال وانطلاق

---

[١] المرشد ، ج ١ ، ص ٤٠٧ .

[٢] الأغاني ، ج ١٩ ، ص ١٦ – ١٧ .

فلو أبقتك واقية ومجد

جد صاعد لوقاك واق [1]

ومن الحنين بيت ميسون بنت بحدل :

لبيت تخفق الأرواح فيه

أحبّ إليّ من قصر منيف [2]

وقول حارثة بن صخر :

تركت أباك بالأدوات كلاً

وأمّك كالعجول من الظراب [3]

٣/ البحر البسيط :

ومنه أبيات امرئ القيس بن الحمام في الحكمة :

إنّ الكبير إذا طالبت زمانته

فإنّما حمله جنازة عار

ومن يعش زمناً في أهله خرفاً

كلاً عليهم إذا حلّوا وإن ساروا

يذمم مرارة عيش كان أوله

حلو وللدهر إسرار وإمرار [4]

وفي الفخر أبيات أوس بن حارثة :

سقنا رفيدة حتى احتل أولها

تيماء يذعر من سلافها حدد

---

(١) الوحشيات ، ص ١٣٣ .

(٢) المعمرون ، ص ٧٢ – ٧٣ .

(٣) الحماسة الشجرية ، هبة الله علي بن الشجري ، تحقيق عبد المعين تاملوحي ، وأسماء الحمصي ، وزارة الثقافة ، ١٩٧٠م ، دمشق ، ج ٢ ، ص ٥٧٤ .

(٤) المعمرون ، ص ٧١ .

سرنا إليهم وفيهم كارهون لنا
وقد يصادف في المكروهة الرشد
حتى وردنا على ذبيان ضاحية
إنّا كذاك على ما خيّلت نرد [١]

وفي الرثاء أبيات جبلة بن الحارث :

يا عين بكّي لمسعود بن شداد
بكاء ذي عبرات شجوه بادي
من لا يذاب له شحم السديف ولا
يجفو الضيوف إذا ما ضنّ بالزّاد [٢]

٤/ بحر الكامل :

يقول عنه الدكتور عبد الله الطيب : " بحر الكامل التام ثلاثون مقطعاً ولكنّه لا يجيء تامّاً في الغالب . وهو أكثر بحور الشعر خلجلة وحركات وفيه لون خاص من الموسيقى يجعله – إن أريد به الجدّ – فخماً جليلاً مع عنصر ترنمي ظاهر ، ويجعله إن أريد به الغزل وما بمجراه من أبواب اللين والرّقّة ، حلواً مع صلصلة كصلصلة الأجراس ، ونوع من الأبّهة يمنعه أن يكون نزقاً أو خفيفاً شهوانيّاً " [٣] .

واستعمل شعراء قبيلة كلب بحر الكامل مجزوءً فمنه أبيات القعقاع بن درماء في رثاء عدي بن جبلة :

هدّ النعاة بسحرة ظهري
فكأنّني دنف من الوقر

---

(١) معجم ما استعجم ، ص ٥ .
(٢) الأمالي ، ط٢ ، ص ٣٢٣ .
(٣) المرشد ، ج ١ ، ص ٣٠٢ .

أعدي حمال المئين ومتـ

راع الأنـاء وسابئ الخمر

ولربّ قوم سوف يحبسهم

مبقاك – أمس – بمحبس أصر [١]

وفي الحماسة قول غرير بن أبي جابر :

أبلغ أبا عمرو وأنـ

ـت على ذو النعم الجزيلة

أنّا منعنا أن تذلّ

بلادكم وبنو جديلة [٢]

والفخر في بيتي جناب بن منقذ :

إنّي امرؤ عفّ الضريبة

لا تؤاتيني الهديـة

حتى أميل بفارس

ميل الغبيط عن الحويّة [٣]

٥/ الرجز :

ومنه أبيات عبد الله بن عمير في الفخر :

إن تنكروني فأنا ابن كلب

حسبي بيتي في عليم حسبي

إنّي امرؤ ذو مرّة وعصب [٤]

---

(١) معجم الشعراء ، ص ٢٠٨ .

(٢) الأغاني ، ج ١٩ ، ص ٢٨ .

(٣) الأغاني ، ج ١٩ ، ص ٢٨ .

(٤) تاريخ الطبري ، ج٥ ، ص ٤٣٠ .

وأبيات ميسون في مدح ابنها يزيد :

إنّ يزيد خير شبّان العرب

أحلمهم في الرضا وفي الغضب

يبدر بالبذل وإن سيل وهب (١)

٦/ المتقارب :

ومنه أبيات دحية بن خليفة :

ألا هل أتاها على نأيها

بأنّي قدمت على قيصر

فقررته بصلاة المسيح

وكانت من الجوهر الأحمر

وقلت له : تقرّ ببشرى المسيح

فقال : سأنظر قلت : انظر (٢)

اتسعت هذه البحور لأغراض شعر شعراء قبيلة كلب ، ويعدّ البحر الطويل الأكثر دوراناً ، حيث إنّه يشمل معظم أغراضهم الشعرية ، ويليه بحر الوافر الذي نظم فيه أكثر في الحماسة والحنين والرثاء وما نظم في هذه الأغراض من الوافر أكثر منه في الطويل ، وذلك ربّما لأنّ الوافر يحتاج إلى عاطفة حارّة " يصلح في الاستعطاف والبكائيات وإظهار الغضب في معرض الهجاء والفخر والتفخيم في معرض المدح " (٣) .

أمّا الطويل " يلائم العاطفة المعتدلة الممتزجة بقدر من التفكير سواء كانت حزناً هادئاً لا صراخ فيه ، أم كانت سروراً هادئاً لا صخب فيه " (٤) .

---

(١) أنساب الأشراف ، ج١ ، ص ١٤٩ .

(٢) الاستيعاب ، ص ٤٦١ .

(٣) المرشد ، ج ١ ، ص ٤٠٧ .

(٤) بناء القصيدة في شعر الناشئ الأكبر ، د. إبراهيم أبو زيد ، ط١ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٠٤م ، ص ١٨٨ .

لكن لا يمكن الجزم بأنّ هذه النظريّة تصلح أن تكون هناك علاقة بين البحر والموضوع وذلك أنّ النقاد يرون " أن الشاعر الحقيقي ليس له طاقة ولا حول في اختيار الوزن " [١].

وذلك لأنّ الشعر تجربة شعورية يصنع نفسه بنفسه ، وإلاّ لكان تجربة ماديّة لا أثر فيه لما يتأثر به الشاعر ويحسه .

إلاّ أنّه يمكن القول بأنّ هناك علاقة بين العاطفة والوزن ، لا بين الموضوع والوزن ، وذلك أنّ الشاعر في حالة المصيبة والهلع يتأثر بالانفعال النفسي وتطلب بحراً قصير التفعيلات يناسب حاله ، كما أنّه في حالة الجزع واليأس يتخيّر وزناً كثير المقاطع .

يقول إبراهيم أنيس : " ونستطيع ونحن مطمئنون أن نقرر أنّ الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخيرعادة وزناً طويلاً كثير المقاطع يصب فيه من أشجانه ما ينفس عن حزنه وجزعه ، فإذا قيل الشعر وقت المصيبة والهلع تأثر بالانفعال النفسي وتطلب بحراً قصيراً يتلاءم وسرعة التنفس وازدياد النبضات القلبية " [٢].

وبعد الطويل والوافر يأتي الكامل والبسيط ثمّ الخفيف ، وقد نظموا فيه قصائد قليلة ، والسريع أيضاً نظموا فيه قصائد أقلّ ، وكذا الحال للمنسرح ثمّ المتقارب والرمل .

أمّا ما قيل في الرجز فهو كثير ، وذلك ربّما لسهولة الرجز واختصاصه بالموضوعات الشعرية كمنازلة الأقران وسباق الخيل وغيرها ، وأشهر ما قيل فيه من شعر قبيلة كلب قصيدة ميسون بنت بحدل في مدح يزيد بن معاوية .

---

[١] بناء القصيدة في النقد العربي القديم ، د. حسن بكار ، ط٢ ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٨٢م ، ص ١٦١ .

[٢] موسيقى الشعر ، إبراهيم انيس ، ط٥ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٨م ، ص ١٧٧ .

أمّا بقيّة البحور فلم ينظموا عليها .

جدول يبيّن البحور الشعرية الواردة في ديوان شعر قبيلـة كلب ، وعدد أبيات كل بحر ، ونسبتها المئوية :

البحر	عدد الأبيات	النسبة المئوية
الطويل	٣٨٠	٣٦.٥ %
الوافر	٢٥٢	٢٤.٢ %
البسيط	١٣٢	١٢.٦ %
الكامل	١٢٨	١٢.٣ %
الرجز	٨٠	٠٧.٦ %
الخفيف	٤٢	٠٤.٠ %
المتقارب	١٢	٠١.١ %
المنسرح	١٠	٠٠.٩ %
السريع	٣	٠٠٢.٠%
الرمل	١	٠٠٠٩.٠ %

ثانياً : القافية :

اختلف العلماء في تعريف القافية . قال الخليل [١] : " القافية هي آخر البيت إلى أوّل ساكن يليه مع المتحرّك الذي قبل الساكن ، وقال الأخفش : هي آخر الكلام . أي تجيء في آخره ، ومنهم من جعل حرف الروي هو القافية " [٢].

" وفريق يرى أنّ القافية البيت كلّه ، وذلك من تسمية الجزء بالكل " [٣]

والقافية تنقسم إلى قسمين مقيدة ، ومطلقة .

قوافي مقيدة : وهي ما كان رويها ساكناً خالياً من الوصل ، والمعروف أنّ القوافي المقيدة تمثل عشر قوافي الشعر العربي [٤] .

وجاءت أغلب قوافي شعراء قبيلة كلب مطلقة .

وأساس القافية الروي ، يلحقه الوصل ، والخروج ويسبقه الردف والدخيل ، وقد تظم شعراء قبيلة كلب القوافي في معظم حروف الهجاء ، ويمكن تقسيم حروف الهجاء التي أتت رويّاً إلى أربعة أقسام .

١/ حروف أتت رويّاً بكثرة ، وهي : الراء ، والباء ، واللام ، والنون والميم ، والدال .

مثال قافية الراء : أبيات بحر بن الحارث :

---

[١] هو : الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي ، العروضي النحوي اللغوي ، سيّد الأدباء في علمه وزهده ، أصله من الفرس ، من مؤلفاته ، كتاب (العين) و(الإيقاع) ، توفّى سنة ١٦٠هـ . معجم الأدباء ، ج ٣ ، ص ١٢٦٥ .

[٢] الوافي في العروض والقوافي ، الخطيب التبريزي ، طبعة حلب ، ١٩٦٩م ص ٢٢٠ .

[٣] العروض الواضح ، ممدوح حقي ، ط١٦ ، منشورات دار ومكتبة الحياة ، بيروت ، ص ١١٤ .

[٤] موسيقى الشعر ، د. إبراهيم أنيس ، ط٥ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٨م ، ص ٢٤٧ .

من عاش خمسين حولاً بعد مائة
من السنين وأضحى بعد ينتظر
وصار في البيت مثل الحلس مطرحاً
لا يستشار ولا يعطى ولا يذر
ملّ الحياة وملّ الأقربون له
طول الحياة وشرّ العيشة الكدر [١]

مثال قافية الباء : أبيات ثعلبة بن عامر :
نحن الألى أردت ظبات سيوفنا
داوود بين البرقتين فحارب
خطرت عليه رماحنا فتركنه
لما شرعن له كأمس الذاهب
وكذاك إنا لا تزال رماحنا
تنفي العدى وتفيد رغب الراغب [٢]

مثال قافية الدال : أبيات جواس بن القعطل :
أتتك العيس تنفخ في براها
بوفد من قنافة كالقرود
إذا النيتون عثن في لحاهم
فليسوا بالغضارفة الأسود [٣]

مثال قافية الميم : أبيات جواس بن القعطل :
بكّي على قتلى القبور فإنّهم
طالت إقامتهم ببطن برام

---

[١] المعمرون ، ص ٧٠ . والإصابة ، ج ١ ، ص ٩٩ .
[٢] أسماء المغتالين ، ص ١٢٩ .
[٣] ديوان جرير ، ص ٢٩٤ .

كانوا على الأعداء نار حفيظة

ولقومهم حرماً من الأحرام

لا تهلكي جزعاً فإنّي واثق

بسيوفنا وعواقب الأيام [١]

مثال قافية اللام : قصيدة حارثة بن شراحيل :

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل

أحيّ يرجّى أم أتى دونه الأجل [٢]

مثال قافية النون : قصيدة عطية بن الأسود :

أبلغ بني القين عن قيس مغلغلة

قومي ومشجعة النائي بها الوطن [٣]

٢/ حروف متوسطة الشيوع : وهي : العين ، والهمزة .

العين : قصيدة عمرو بن المخلاة :

ويوم ترى الرايات فيه كأنّها

حوائم طير مستدير وواقع

خلا أربع بعد اللقاء وأربع

وبالمرج باق من دم القوم ناقع [٤]

الهمزة : قصيدة مالك بن عمرو :

متى تفخر بزرعة أو بحجر

تجد فخراً يطير به السناء

---

[١] حماسة أبي تمام ، ص ٤١٧ .

[٢] أنساب الأشراف ، ج ١ ، ص ٤٦٧ – ٤٦٨ .

[٣] الوحشيات ، ص ٢٠ – ٢١ . ومعجم الشعراء ، ص ١٥٨ – ١٥٩ .

[٤] نقائض جرير والأخطل ، ص ١٨ – ١٩ .

هم السادات من أبناء عمرو

ومن لهم المهابة والبهاء [١]

٣/ حروف قليلة الشيوع : وهي : القاف ، والفاء ، والجيم ، والهاء والسين .

مثال قافية القاف : أبيات عمرو بن أسود :

ألا يا عين جودي باندفاق

على مردى قضاعة بالعراق

فما الدنيا بباقية لحيّي

ولا حي على الدنيا بباق

لقد تركوا على البردان قبراً

ونادوا بارتحال وانطلاق

فلو أبقتك واقية ومجد

وجد صاعد لوقاك واق [٢]

مثال قافية الفاء : بيتي زهير بن جناب :

وكيف بمن لا أستطيع فراقه

ومن هو إن لم تجمع الدار آلف

أمير شقاق إن أقم لا يقم معي

ويرحل إن أرحل يقم ويخالف [٣]

مثال قافية السين ، قول حكيم بن عياش :

فهل تبلغينها على نأي دارها

بذات البراق اليعملات العرامس [٤]

---

(١) الإكليل : ج ٢ ، ص ١٢٢ .

(٢) الوحشيات ، ص ١٣٣ . ومعجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٧٦ .

(٣) المعمرون ، ص ٣٦ . والأغاني ، ج ١ ، ص ٣٦٦ .

(٤) معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٦٦ .

مثال قافية الهاء : : أبيات جواس ين القعطل :

صبغت أميّة بالدماء رماحنا

وطوت أميّة دوننا دنياها

أأميّ ربّ كتيبة مكروهة

صيد الكماة عليكم دعواها

كنا ولاة طعانها وضرابها

حتى تخلت عنكم غماها [١]

مثل قافية الجيم : أبيات خليفة بن بشير :

ما زال يفتح أبواباً ويغلقها

دوني ويفتح باباً بعد إرتاج

حتّى أضاء سراج دونه حجل

حور العيون ملاح طرفها ساجي

يكثرن للهو واللذات عن برد

تكشّف البرق عن ذي لجّة داجي

كأنّما نظرت دوني بأعينها

عين الصريمة أو غزلان فرتاج

يا نعمها ليلة حتى تخوّنها

داع في بياض الصبح شجّاج

لما دعا الدعوة الأولى فأسمعني

أخذت ثوبي واستمررت أدراجي [٢]

٤/ حروف نادرة الشيوع : وهي : الحاء ، والضاد ، والكاف ، والتاء والظاء ، والزاي ، والواو .

---

[١] حماسة أبي تمام ، ج ٢ ، ص ١٩٩ .

[٢] المؤتلف والمختلف ، ص ١٧٧ – ١٧٨ .

٥/ حروف لم ينظم عليها شعراء قبيلة كلب : وهي : الغين ، والصاد والثاء ، والذال ، والسين .

عيوب القافية :

أوضح العلماء أنّ عيوب القافية خمسة : الإقواء ، والإكفاء ، والإيطاء والسناد ، والتضمين (١).

الإيطاء : وهو "إعادة القافية مرتين" [١] .

وأصل الإيطاء : أن يطأ الإنسان في طريقه على إثر وطء ، فيعيد الوطء في ذلك الموضع ، فكذلك إعادة القافية . اختلف العلماء في كيفية تكرير القافية ، فالخليل يرى أنّ كل كلمة وقعت موقع القافية وتكررت فهو إيطاء ، سواء كانت الكلمة تحمل نفس المعنى أم اختلف المعنيان . والأخفش وابن الجرمي وغيرهم يرون : إذا اختلف المعنى واتفق اللفظ فليس بإيطاء [٢]. وقد يكون الإيطاء بين متعاقبين ، وقد يفصل بينهما أبيات .

وقد وقع شعراء قبيلة كلب في الإيطاء ، ومن ذلك قول زهير بن جناب :

لما أبى جيرتي إلاّ مصممة
تكسو الوجوه من المخزاة ألوانا
ملنا عليهم بورد لا كفاء له
يفلقن بالبيض تحت النقع أبدانا
إذا أرجحنّوا علونا هامهم قدما

---

(١) العمدة ، ج ١ ، ص ١٦٤ .

[١] الشعر والشعراء ، ج ١ ، ص ٩٧ .

[٢] الوافي في العروض والقوافي ، ص ٢١٨ – ٢١٩ .

كأنّما نختلي بالهام خطبانا

كم من كريم هوى للوجه منعفراً

قد اكتسى ثوبه في النقع ألوانا [١]

فقد كرر (ألوانا) بعد أربعة أبيات .

ومنه قول عمران بن هلباء[٢] :

لئن عيرتمونا ما فعلنا

لقد قلتم وجدكم مقالا

لإخوان الأشاعث قتّلوهم

فما وطئوا ولا لاقوا نكالا

وأبناء المهلّب نحن صلنا

وقائعها وما صلتم مقالا [٣]

الإقواء :

وهو " اختلاف حركات الإعراب في القوافي ، وذلك أن تكون قافية مرفوعة وأخرى مخفوضة " [٤].

وقد وقع فيه شعراء قبيلة كلب ، ومن الإقواء قول مرة بن جنادة :

يا كلب ذبّوا عن حريم نسائكم

كما ذبّ فحل الشول بين عشارها

إذا ندبوا للحرب سارع منهم

---

(١) الأغاني ، ج ١٩ ، ص ٢٦ – ٢٧ .

(٢) هو : عمران بن هلباء ، من بني عامر . تاريخ الطبري ، ج ٧ ، ص ٢٣٥ – ٢٣٦ .

(٣) المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ٢٣٦ .

(٤) الشعر والشعراء ، ج ١ ، ص ٩٥ .

فوارس حرب كالأسود ابتكارها [١]

يخفون دون الروع في جمع قومهم

بكل عضوب مصقل في حذارها

التضمين :

وهو " أن تتعلّق قافية البيت الأول بالبيت الثاني ، وقد عرّفه ابن عبد ربّه قائلاً : " التضمين أن يكون البيت معلّقاً بالبيت الثاني ، لا يتمّ معناه إلاّ به وإنّما يحمد البيت إذا كان قائماً بنفسه " [٢].

ومن التضمين قول الحسام بن ضرار :

فلمّا بلغتم نيل ما قد أردتم

وطاب لكم منّا المشارب والأكل

تغافلتم عنا كأن لم نكن لكم

صديقاً وأنتم ما علمت لها فعل [٣]

[١] وقعة صفين ، ص ٤٧٥ .

[٢] العقد الفريد ، ابن عبد ربّه ، شرح أحمد أمين ، وإبراهيم الأبياري ، ج ٥ ، ص ٣٧٨ .

[٣] الوحشيات ، ص ٤٢ . والحماسة الشجرية ، ج ١ ، ص ٩ .

خاتمة

خاتمة

تمّ بحمد الله وتوفيقه بحثي هذا ، فإن أصبت فيه فلله الحمد قبلاً وبعداً ، وإن شابه القصور فتلك من شيمة البشر .

كما هو معلوم فإن لأي باحث نتائج وإضافات يمكن أن يقدمها ، فإنّي أقدم بعض النتائج التي يمكن أن تحمل بعض الإضافات الجديدة :

١/ نظم شعراء قبيلة كلب شعرهم على جميع الأغراض الشعرية من مدح وفخر وهجاء ...إلخ . إلاّ أنّ أكثر ما نظموا فيه الحماسة ، يليه الفخر ، وأقلّها الغزل .

٢/ يحتلّ شعر الحماسة الصدارة في شعر شعراء قبيلة كلب ؛ وذلك ربّما للمعارك الكثيرة التي خاضتها القبيلة ، وعلاقة هذا الغرض من الشعر بها .

٣/ لم يعدلوا في مدحهم عن الفضائل التي تختص بالنفس كالعقل والعفّة والعدل والشجاعة .

٤/ تخلو قصائد شعراء قبيلة كلب من المقدمات الطللية ، بل كان أغلبه معبراً عن الموقف الذي قيل فيه .

٥/ نظم شعراء قبيلة كلب شعرهم على عشرة بحور ، هي : الطويل ، الوافر ، البسيط ، الكامل ، الرجز ، السريع ، الخفيف ، المتقارب ، المنسرح الرمل .

٦/ خلى شعر قبيلة كلب من بعض القوافي مثل الغين ، والصاد ، والثاء والذال ، والشين . وهي حروف لا تمتاز بموسيقى .

٧/ وقع شعراء قبيلة كلب في بعض عيوب القافية ، مثل : الإيطاء ، والإقواء ، والتضمين .

٨/ التشبيهات والاستعارات والكنايات التي وردت في شعرهم مستمدة من بيئتهم .

٩/ لم يخرج الاستعمال الفني للأساليب والألفاظ والصور الشعرية والموسيقى لدى شعراء قبيلة كلب من الاستعمال المعاصر لهم .

١٠/ امتاز بعض شعراء قبيل كلب بالحكمة وعمق النظرة من خلال التجارب التي مرت بهم والواقع المحيط بهم .

التوصيات :

أوصي الباحثين أن يتناولوا الجانب الفني لشعر قبيلة كلب ، وذلك لثراء الديوان بالجوانب الفنية .

فهارس عامة

فهرس الآيات القرآنيّة

الرقم	الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
١	﴿ يُـؤْتِي الْحِكْمَـةَ مَـنْ يَشَـاءُ وَمَـنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ .	٢٦٩	البقرة	٩٢
٢	﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَـذَلِكَ زُيِّـنَ لِلْكَـافِرِينَ مَـا كَـانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ .	١٢٢	الأنعام	١٣٧
٣	﴿ وَالَّـذِينَ كَفَـرُوا أَعْمَـالُهُمْ كَسَـرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء ﴾ .	٢٩	النور	١٣٣
٤	﴿ وَالَّـذِينَ لا يَشْـهَدُونَ الـزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ .	٧٢	الفرقان	٩٤
٥	﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ ﴾	٥	الأحزاب	٣٠
٦	﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ ﴾ .	٦٨	يس	٩٦
٧	﴿ وَقَـالُوا مَـا هِـيَ إِلا حَيَاتُنَـا الـدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ ﴾ .	٢٤	الجاثية	١١٧
٨	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ	١١	الحجرات	٩٨

	خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ ﴾ .			

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأبيات الشعرية الواردة في غير الديوان

الرقم	البيت	القائل	الصفحة
قافية الباء			
١	ويوم شباك الدوم دانت لديننا قضاعة لو ينجى الذليل التحوب	كثير عزّة	١٩
٢	ما ينكر الناس منا حين نملكهم كانوا عبيداً وكنّا نحن أربابا	امرؤ القيس	٦١
قافية الحاء			
٣	ألستم خير من ركب المطايا وأندى العلمين بطون راح	جرير	٤٣
قافية الدال			
٤	يغور إذا غارت فؤادي وإن تكن بنجد يهيم مني الفؤاد إلى نجد	جميل بن معمر	١٣
٥	فتى لو يباري الشمس ألقت قناعها أو القمر الساري لألقى المقالدا	الأعشى	٤٣
٦	هل الدهر إلاّ اليوم أو أمس أو غد كذاك الزمان بيننا يتردد يردّ علينا ليلة بعد يومها فلا نحن ما نبقى ولا الدهر ينفد	حاتم الطائي	١١٧
٧	إذا القوم قالوا من فتى خلت أنني عنيت ولم أكسل ولم أتبلّد إن يلتق الحي الجميع تلاقني إلى ذروة المجد الكريم المصمّد	طرفة بن العبد	٦٠

قافية الراء			
٨	يظل الإماء يبتدرن قديحها كما ابتدرت كلب مياه قراقر	النابغة	٩
٩	بخالة أو ماء الدنانة أو سوى مظنّة كلب في مياه لمناظر	النابغة	٩
١٠	قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأمهم بولي على النار	الأخطل	٨٢
قافية العين			
١١	فيا قبر معن كنت أول حفرة من الأرض خطّت للسماحة مضجعا ويا قبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حيّاً ضقت حتى تصدعا فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا	حسين بن مطير	٦٧
١٢	هيّج الشوق خيال زائر من حبيب خفر فيه فدع شاحط جاز إلى أرحلنا عصب الغاب طروقاً لم يرع آنس كان إذا ما اعتادني حال دون النوم منّي فامتنع وكذاك الحب ما أشجعه يركب الهول ويعصي من وزع	سويد بن أبي كاهل	٧٨

	فأبيت الليل ما أرقده وبعينيّ إذا نجم طلع وإذا ما قلت ليل قد مضى عطف الأول منه فرجع يسحب الليل نجوماً ظلّعاً فتواليها بطيئات التبع ويزجيها على إبطائها معرب اللون إذا اللون انقشع		
قافية الفاء			
١٣	بين شكول النساء خلقتها قصد لا جبلة ولا قضف تغترف الطرف وهي لاهية كأنما شفّ وجهها نزف قضى لها الله حين صوّرها الـ خالق أنْ لا يكنّها سدف تنام عن كبر شأنها فإذا قامت رويداً تكاد تنغرف حوراء جيداء يستضاء بها كأنّها خوط بانة قصف تمشي كمشي الزهراء في دمث الـ رمل إلى السهل دونه الجرف ولا يغثّ الحديث ما نطقت وهو بفيها ذو لذّة طرف	قيس بن الخطيم	٧٦ ٧٧

	تخزنه وهو مشتهىً حسن وهو إذا ما تكلمت أنف كأنّ لبّاتها تضمّنها هزلى جراد أجوازه جلف كأنّها درّة أحاط بها الـ غواص يجلو عن وجهها صدف يا رب لا تبعدن ديار بني عذرة حيث انصرفت وانصرفوا		
قافية اللام			
١٤	فلا تسأليني واسألي عن بلائيا أياداً وكلباً من معدّ ووائلا	لبيد بن ربيعة	٣
١٥	قضاعية أو أختها مضريّة يحرق في حافاتها الحطب الجزل	زهير بن أبي سلمى	٤
١٦	لمن الديار كأنها لم تحلل بين الكناس وطلح الأعزل	جرير	٨
١٧	حبذا ليلتي بمزّة كلب غال عني بها الكوانين غول بت اسقي بها وعندي مصاد إنّه لي وللكرام خليل مقدماً أحله الله للناس شراباً ما تحل الشمول عندنا المشرفات من بقر الأنس هواهن لابن قيس دليل	ابن قيس الرقيات	١٢

١٨	يغشون حتى ما تهرّ كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل	حسان بن ثابت	٤٣
١٩	مضى القوم مسعوداً وغالت رماحنا حصيناً وغيلاناً بهنّ غوائله	عروة بن الورد	٥٤
٢٠	إنّ الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعزّ وأطول بيتاً زرارة محتباً بفنائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل بيتاً بناه لنا المليك وما بنى حكم السماء فإنّه لا ينقل	الفرزدق	٥٩
٢١	إذا كان مدح فالنسيب المقدّم أكل بليغ قال شعراً متيم	المتنبئ	٧٥
٢٢	هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لا يشتكى قصر منها ولا طول	كعب بن زهير	٧٦
	قافية الميم		
٢٣	طعنت طعنة في غلس الليل زهيراً وقد توافى الخصوم حين يحمى له المواسم بكر أين بكر وأين منه الحلوم خانني السيوف إذا طعنت زهيراً وهو سيف مضلل مشؤوم	ابن زيابة	٥٥
٢٤	إذا ما غضبنا غضبة مضريّة هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما	بشار بن برد	٦١

	إذا ما أعرنا سيدا من قبيلة زرا منبر صلى علينا وسلما		

فهرس الأعلام

		١٣٠ ، ١٣٣
١٩	زهير بن أبي سلمى .	٤
٢٠	زينب بنت جحش .	٣٠
٢١	سباع بن عرفطة الغفاري .	٣٠
٢٢	سلمان الفارسي .	٢١
٢٣	سويد بن أبي كاهل .	٧٨
٢٤	صهيب الرومي .	٢٢
٢٥	طرفة بن العبد .	٦٠
٢٦	عبد الرحمن بن عوف .	٣١ ، ٣٥
٢٧	عبد الله الطيب .	١١٠ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٧
٢٨	عبد الله بن الزبير .	٩٨
٢٩	عبد الله بن عمر .	٣٠
٣٠	ابن عبد ربه .	١٥٩
٣١	عثمان بن عفان .	٢٧ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٩٨
٣٢	علي بن أبي طالب .	٣٥ ، ٣٧
٣٣	أبو عمر بن العلاء .	٢
٣٤	الفرزدق .	٥٩
٣٥	ابن قتيبة .	٧٥
٣٦	ابن قيس الرقيات .	١٢
٣٧	قيس بن الخطيم .	٧٦
٣٨	كثير عزة .	١٩
٣٩	كعب بن زهير .	٧٦

فهرس المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم :

الرقم	مصدر أو المرجع
١	أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، بطرس البستاني ، توزيع دار الجيل ، بيروت ، ط ١٩٨٩م .
٢	أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق الشيخ محمّد عبده ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ .
٣	الأسس الجمالية في النقد العربي ، عز الدين إسماعيل ، عرض وتفسير ومقارنة ، ط١ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٤م .
٤	أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام ، محمّد بن حبيب ، تحقيق عبد السلام هارون ، نوادر المخطوطات ، ط٢ ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٧٣م .
٥	أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها ، الأسود الغندجاني ، تحقيق د. محمّد علي سلطاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
٦	الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين في الجاهلية والمخضرمين ، محمّد وسعيد ابنا هاشم الخالديان ، تحقيق د. السيد محمّد يوسف ، لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٥٨م ، القاهرة .
٧	الإصابة في تمييز الصحابة ، الحافظ ابن حجر العسقلاني ، تحقيق محمّد علي البجاوي ، دار الجيل ، بيروت .
٨	الأصمعيات ، لأبي سعيد الأصمعي ، شرح وتحقيق أحمد محمّد شاكر ، وعبد السلام هارون ، ط٣ ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .
٩	الأصنام ، تأليف ابن الكلبي ، تحقيق أحمد زكي باشا ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٤م .

١٠	أصول البيان العربي ، محمّد حسين علي الصغير ، دائرة الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦م .
١١	أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ، عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت .
١٢	الأعلام قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، تأليف خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت .
١٣	الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، دار الكتب المصرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
١٤	الإكليل ، الحسن بن يعقوب الهمداني ، تحقيق محمّد بن علي الأكوع صنعاء ، ١٩٦٦م .
١٥	الأمالي ، أبو علي القالي ، ط٢ ، دار الجيل ، ودار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٧م .
١٦	أمالي المرتضى ، الشريف علي بن حسين العلوي ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٧ .
١٧	أنساب الأشراف ، أحمد بن يحيى ، تحقيق الدكتور محمّد حميد الله دار المعارف ، القاهرة .
١٨	الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، شرح محمّد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل الجديد ، ط٣ .
١٩	الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، يوسف بن عبد البر القرطبي ، تحقيق محمّد البجاوي ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٠م .
٢٠	البرهان الكاشف في إعجاز القرآن ، تحقيق أحمد عبد المطلب ، وخديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٤م .
٢١	بغية الطلب في تاريخ حلب ، كمال الدين بن العديم ، منشورات

	معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، فرانكفورت ، ١٩٨٦م .
٢٢	تاريخ الرسل والملوك ، محمّد بن جرير الطبري ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، ط٥ ، دار المعارف ، ١٩٨٩م .
٢٣	تاريخ العرب قبل الإسلام ، تأليف الدكتور السيد عبد العزيز سالم ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية .
٢٤	تاريخ اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب ، دار صادر ، ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م .
٢٥	التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن ، ابن الزملكاني ، تحقيق د. أحمد مطلوب ، د. خديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٣٨٣هـ – ١٩٦٤م .
٢٦	التفسير النفسي للأدب ، عز الدين إسماعيل ، ط٤ ، دار العودة ، بيروت .
٢٧	تيارات معاصرة في الشعر الجاهلي ، د. سعد دعيبس ، دار الثقافة القاهرة ، ١٩٨٠م .
٢٨	جمهرة أنساب العرب ، علي بن أحمد بن حزم ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط٥ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢م .
٢٩	جمهرة اللغة ، محمّد بن الحسن بن دريد ، تحقيق ركزي بعلبكي ، دار العلم للملايين .
٣٠	الحماسة ، الوليد بن عبادة البحتري ، تحقيق لويس شيخو ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٦٧م .
٣١	حماسة حبيب بن أوس الطائي ،تحقيق عبد الله عبد الرحمن عسيلان ،جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة،الرياض ١٩٨٠م
٣٢	الحماسة الشجرية ، هبة الله علي بن الشجري ، تحقيق عبد المعين الملوحي ، وأسماء الحمصي ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٠م .

٣٣	الحيوان ، عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط٣ المجمع العلمي العربي الإسلامي ، بيروت ، ١٩٦٩م .
٣٤	خزانة الأدب ، ولب لباب العرب ، عبد القادر البغدادي ، تحقيق عبد السلام محمّد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٩م .
٣٥	ديوان أبي الطيب المتنبئ بشرح أبي البقاء العكبري ، ضبطه وصححه مصطفى السقا وآخرون ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
٣٦	ديوان الأخطل ، تصنيف إيليا سليم الحاوي ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان .
٣٧	ديوان الأعشى ، تحقيق إبراهيم حزيني ، دار صادر ، بيروت .
٣٨	ديوان النابغة ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر .
٣٩	ديوان جرير ، دار صادر ، ودار بيروت .
٤٠	ديوان حاتم الطائي ، دار صادر للطباعة والنشر ، ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٣هـ – ١٩٦٣م .
٤١	ديوان كعب بن زهير ، صنعة أبي عبيد الله السكري ، نسخة مصورة عن دار الكتب ، ١٣٦٩م ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة .
٤٢	ذيل الأمالي والنوادر ، أبو علي إسماعيل بن قاسم القالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
٤٣	ذيل وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥١م ، مطبعة السعادة .
٤٤	الزمن عند الشعراء قبل الإسلام ، عبد الإله صائغ ، ط١ ، ١٩٨٦م
٤٥	سنن الترمزي ، لأبي عيسى محمّد بن عيسى بن سورة ، شرح وتحقيق أحمد محمّد شاكر ، دار الحديث القاهرة .

٤٦	سير أعلام النبلاء ، الإمام الذهبي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، وعلي أبو زيد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،
٤٧	السيرة النبويّة ، ابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، دار العلم ، بيروت .
٤٨	شرح ديوان بشار ، حسين حموي ، ط١ ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م ، دار الجيل ، بيروت .
٤٩	الشعر والشعراء ، عبد الله بن مسلم الدينوري، تحقيق أحمد محمّد شاكر دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢م .
٥٠	الصناعتين (الكتابة والشعر) ، أبو هلال العسكري ، تحقيق مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٥١	الصورة الشعرية في الكتابة الفنية ، الأصول والفروع ، صبحي بستاني ، دار الفكر اللبناني ، ط ١٩٨٦م .
٥٢	الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، جابر عصفور ، دار الثقافة ، القاهرة .
٥٣	طبقات فحول الشعراء ، محمّد بن سلام الجمحي ، تحقيق محمود محمّد شاكر ، ط٢ ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٧٤م .
٥٤	العباب الزاخر واللباب الفاخر ، الحسن بن محمّد الصغاني ، تحقيق محمّد الحسن آل ياسين ، ط١ ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ١٩٨٠م .
٥٥	العروض الواضح ، ممدوح حقي ، ط١٦ ، منشورات دار ومكتبة الحياة ، بيروت .
٥٦	العقد الفريد ، ابن عبد ربه ، شرح إبراهيم الإبياري ، وأحمد أمين .
٥٧	علم البيان ، بدوي أحمد طبانة ، مطبعة الأنجلو المصرية ، القاهرة ط٣ ، ١٩٧٧م .

٥٨	العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تأليف أبي الحسن علي بن رشيق القيرواني ، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل بيروت ، لبنان .
٥٩	فتوح البلدان ، أحمد بن يحيى البلاذري ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .
٦٠	القصيدة الدامغة ، للهمداني ، نشوان سعيد الحميري ، تحقيق محمّد بن علي الأكوع ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٩٩٠م .
٦١	الكامل في التاريخ ، عز الدين بن الأثير ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠م .
٦٢	كتاب البيان ، موجز في البيان والعروض ، جورج شكور ، دار الفكر اللبناني ، بيروت .
٦٣	لسان العرب ، محمّد بن مكرم بن منظور ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٨م .
٦٤	المؤتلف والمختلف ، الحسن بن بشر الآمدي ، تحقيق عبد الستار فراج ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .
٦٥	المحبر ، محمّد بن حبيب ، تحقيق إليزة ليختن شتيتر ، دار آفاق الجديدة ، بيروت .
٦٦	مروج الذهب ، ومعادن الجوهر ، علي بن الحسين المسعودي ، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد ، ط٥ ، دار الفكر ، بيروت .
٦٧	معجم الأدباء ، ياقوت بن عبد الله الحموي ، ط٣ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٠م .
٦٨	معجم الأمثال ، أحمد بن محمّد الميداني ، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت .
٦٩	معجم البلدان ، ياقوت بن عبد الله الحموي ، دار صادر ، بيروت .

٧٠	معجم الشعراء ، محمّد بن عمران المرزباني ، تحقيق عبد الستار فراج ، مكتبة النووي ، دمشق .
٧١	معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ، تأليف : عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .
٧٢	معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، للوزير الفقيه ، أبي عبيد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ، ضبط وتحقيق مصطفى السقا .
٧٣	المعمرون والوصايا ، أبو حاتم السجستاني ، تحقيق عبد المنعم عامر ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦١م .
٧٤	المغازي ، محمّد بن عمر الواقدي ، تحقيق د. مارسدن جونز ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت .
٧٥	المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، تأليف الدكتور جواد علي ، دار العلم للملايين ، بيروت .
٧٦	المفضليات ، المفضل بن محمّد الضبي ، كلية اكسفورد ، بيروت .
٧٧	موسيقى الشعر ، د. إبراهيم أنيس ، ط ٥ ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ، ١٩٧٨م .
٧٨	نسب معد واليمن ، محمّد بن هشام الكلبي ، تحقيق ناجي حسن طبعة عالم الكتب ، بيروت ، بيروت ، ١٩٨٨م .
٧٩	نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، علي بن سعيد الأندلسي ، تحقيق د. نصر الدين عبد الرحمن ، مكتبة الأقصى ، عمان ، ١٩٨٢م .
٨٠	الوافي في العروض والقوافي ، الخطيب التبريزي ، طبعة حلب ، ١٩٦٩م .
٨١	الوحشيات ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، ط٢ ، دار المعارف ،

	القاهرة ، ١٩٧٠ .
٨٢	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ابن خلكان ، تحقيق د. يوسف علي طويل، و د. مريم قاسم طويل ، منشورات محمّد علي بيضون دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان .
٨٣	وقعة صفين ، منصور بن مزاحم المنقري ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط٢ ، ١٣٨٢هـ المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع .

فهرس الموضوعات